

الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية
وزارة التعليم العالي والبحث العلمي
المركز الجامعي بتمنغست

معهد العلوم الإنسانية
قسم اللغة العربية و آدابها

التداخل الصوتي بين اللغة العربية الفصحى واللهجة العامية الحروف اللثوية بمنطقة تمنراست أنموذجاً

مذكرة لنيل شهادة الماجستير في اللسانيات التطبيقية

إعداد :
الطالبة فضيلة فراحي

السنة الجامعية
1436 - 1437 هـ
2015 - 2016 م

الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية

وزارة التعليم العالي والبحث العلمي

المركز الجامعي بتمنغست

معهد العلوم الإنسانية
قسم اللغة العربية و آدابها

التداخل الصوتي بين اللغة العربية الفصحى واللهجة العامية الحروف اللثوية بمنطقة تمنرست أنموذجا

مذكرة لنيل شهادة الماجستير في اللسانيات التطبيقية

بإشراف:

فاطمة ولد حسين هيشور

إعداد:

الطالبة فضيلة فراحي

لجنة المناقشة /

مشرفا	د / فاطمة ولد حسين هيشور
رئيسا	د / أحمد حساني
مناقشا	د / حفيظة جنّـيـح

السنة الجامعية

1436 - 1437 هـ

2015 - 2016 م

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ



شكر و عرفان

الحمد لله حمدا دائما لا ينقطع على نعمه وفضله.

وصلاة تامة على أشرف خلقه محمد (صلى الله عليه وسلم).

إلى من وهبتي الحياة و علمتني مقاومة صعابها ثم
غابت عني إلى الأبد...روح أمي الطاهرة.

إلى سندي و إلهامي في الحياة إليك أبي العزيز الغالي.

إلى من بدعمها و إرشادها وصبرها رأى هذا العمل
النور أستاذتي الدكتورة فاطمة هيشور ألف شكر.

إلى كل غيور على اللغة العربية الفصحى و نبض قلبه
عزما على استرجاع مجدها التليد...

فضيلة



مقدمة

مقدمة

اللغة كلمة تتجسد في أقوال و أفعال كل كائن بشري منذ ظهور الخلق سواء فهم كنهها أم لم يفهمه ، إلا أنه من المؤكد أنه تساءل عن طبيعة هذه الظاهرة الإنسانية العجيبة في وجودها ، الغريبة في قدرتها اللامحدودة على تجسيد دورها على أكمل وجه ما دفعه إلى أن يقف لحظة لمعرفة حقيقتها الخفية بسؤاله البديهي ما اللغة ؟ ليجد الجواب الأولي على سؤاله أنها إحدى الظواهر الكونية المعقدة المتواضع عليها ليعبر بها القوم عن مختلف الأغراض التي يُرجى حصولها، في ظل الإفصاح عن أفكارهم. واللغة باعتبارها نشاطا موجها للتواصل في إطار حاجات الإنسان و تبادلاته الاجتماعية ، هي جسر من تلك الجسور التي تعكس أهمية الاتصال البشري مما أوجبها أن تكون طيّعة ، هيّنة ، واضحة ، مركّزة ودقيقة في أدائها الخطابي - التواصلي الذي وجدت من أجله.

ولم يكتف الإنسان بمعرفة هذه الحقيقة عن اللغة الممثلة في وظيفة التواصل من طرف علماءها الذين كرسوا جهودا حثيثة للغوص في كنهها فحسب ، بل إنهم أقروا بوجود وظائف أخرى متعددة للغة إلى جانب اعتبارها أداة الفكر ووسيلة للتعبير بجميع أشكاله وغاياته ، لا بل فإن الذي يمعن النظر فيها يدرك أنها تتلون بتلون الظروف والمواقف المحيطة بها أثناء قيامها بدورها، إذ أنها لا تعرف معنى للثبات سواء كان ذلك في جانبها الشكلي أم في جانب المضمون، ما دامت اللغة إشارات عاكسة وأفكار تختلج في قرائح الإنسان وتصدر عنه برموز تدعى بالكلمات التي لا يستطيع أحد أن يفكر خارج حدودها أبدا لأنها صورة اللغة حتى في الحوار النفسي الداخلي، فغاية الكلمة هو الترويج عن النفس ونقل الأفكار للآخر والتعاون معه في أثناء التواصل الاجتماعي . ويبقى الكلام دليل الفؤاد الذي يحمل أحاسيس مخبأة لا تعرف إلا به. و من هذا الجانب كانت العلاقة حاصلة بين الكلمة والفكر.

وعليه ، فإن هذه العوامل المعنوية مسخرة من أجل التواصل وتنتهي إلى استنتاج مفاده أن: اللغة هي الوجه الوحيد الذي يضفي صفة الواقعية والتمام على الفكر.

فلكي تكون الأفكار واضحة شديدة الالتصاق بالواقع وتامة من حيث ما ندعو إليه لابد من اللغة، إذ أن علاقة اللغة بالفكر قديمة تتجدد متى وجدت الثغر المناسب لذلك، ولغة الإنسان من هذه الناحية ثرية تتسع لجميع أفكاره حتى أنها قادرة على حمل أوجه عديدة قابلة للتأويل الصحيح، وحجم هذا الثراء يتنامى بفعل التواصل بالحوار وسط المجتمع . إذ أن لكل فرد خبراته المتأتية له والتي يجعلها تنبض بالحياة وتملك القدرة على قول كل ما يفيض بالدلالة المؤثرة التي يندهش منها الإنسان نفسه ومن قدرتها الكبيرة على هذه الإستجابة وهذا التأثير العميق.

هذه الميزة التي ولدتها اللغة جعلتها اليوم بل ومنذ القدم تكون غاية الدراسات والجهود العلمية التي سخرت ووجدت من أجلها والتي عرفت بالدراسات اللسانية الحديثة و التي باتت مطلباً أساسياً لا مفر منه إلا إليه. فقد أكدت هذه العلوم اللسانية على مشروعية الإحاطة باللغة من جميع جوانبها منذ ظهورها مروراً بتطورها وصولاً إلى مواطن التغيير فيها خصوصاً بعد ما ثبتت القدرة على قابلية تحليلها وقياس أبعادها لاستيعاب معطياتها المتجددة التي يقرأها و يقدرها الجانب التطبيقي مساهمة بذلك متطلبات المجتمعات والأمم الكثيرة و المتنوعة إلى حد كاد يخرج اللغة من ثوبها الأول الذي كساها بصبغة القوة و الرسوخ من خلال تلك الأصوات التي استغلها الإنسان ليشكل بها صوراً لغوية كثيرة و متباينة لحظة احتياجه لها ، إلى درجة أنه في وقت من الأوقات خرج عن الوجه الحقيقي لتلك الأصوات ما فتح باباً جديداً لتطور آخر بضرورة إيجاد وسيلة تقف على حقيقة هذا التغيير إلى جانب علم اللغة.

ليتأسس بذلك علم الأصوات الذي طرحته التيارات اللسانية الواسعة بغية فحص خصائصها الفيزيولوجية والفيزيائية... وغيرها ، و باعتبارها ظاهرة طبيعية فإن دراستها متوقفة على كيفية حدوثها في جهاز النطق عند الإنسان المرسل ، والوسط الناقل له والمرسل إليه الذي من الطبيعي أن تتأثر به، لأن كل خاصية تتضح عند الإنسان من خلال سلوكياته أو صفاته ما هي إلا ترجمة لتلك الكيفيات الهندسية المختلفة التي شكلتها بيئته في أثناء إكتسابه لها نتيجة ظروف معينة .

وقد يمتد هذا الاختلاف بين بني البشر إلى أدق التفاصيل البيولوجية فكما فرق الله في الخصائص الفيزيولوجية لأعضاء جسم الإنسان، لنا أن نقتنع حتماً بالتفريق في وظيفتها ومؤداها .

ولم يتوان البحث اللغوي عن تقصي وتتبع أسرار هذه الفروقات المميزة للتركيبية اللغوية فيزيولوجيا وفيزيائيا، خصوصا للصوت المنطوق وصولا إلى الفروقات الوظيفية ذاتها على غرار ما توصلت إليه المدرسة الوظيفية (براغ) من خلال الأبحاث التي قدمها "تروبسكوي" مستندا على التصورات التي طرحها دي سو سير ، والذي أعلن بصراحة عن تعذر فهم صحيح لمفهوم (الفونيم) أو أصغر وحدة دلالية تفتقد دلالتها عندما لا تتوفر لها مقاطع صوتية مسجلة. وفي هذا المضمار نبقى فقط في حدود المحيط الذي نحن فيه إن لم نقل جنوبنا الكبير من بلادنا الجزائر الذي تشهد اللغة العربية الفصيحة فيه ورود ظواهر صوتية كثيرة جدا، فدون أن يشعر بها المتكلم في حديثه أو ينتبه لها في إدراجها على لسانه و جعلها جزء لا يتجزأ من محيطه اللغوي حتى إنه جعل المهتم بالبحث في هذا الجانب في حيرة من أمره ، أهو يعدها بديلا لغويا جديدا عن الأصوات التي عهدنا اللغة بها؟ أم هي مشكل لساني علق في شَرَكه ولم يعرف من التخلص منه بدُّ؟ أو أن الأمر يشكل خطرا حقيقيا أمام مستقبل اللغة العربية ؟ وعلى استمرارها على ميزاتها وخاصيتها التي لطالما عرفت بها موحدّة بين متكلميها الذين فرقت بينهم مختلف اللهجات التي خُصّت بها كل بقعة معينة و تعارفت عليها.

صحيح أن المجتمع حر في طريقة استعمال اللهجة التي اختارها وتواضع عليها للتواصل بها بين أفراده في جوّ معين ما دامت فُصّحاه بخير، لكن أين هي المشكلة إذن ؟

يكمن الإشكال حينما تستبدل حروف كلمات في العربية الفصحى مكان أخرى في أثناء النطق بها وقد نشأ عليها منذ صغره وتواتر على استعمالها خاطئة رغم معرفته بذلك لاحقا.

والفرد في منطقتنا الصحراوية - التي نحن فيها - يتعايش مع ظواهر صوتية ليست من أصل لغته و من ضمن هذه الظواهر أنه ينطق بحروف بعض الكلمات خاطئة إستبدالها بغيرها كقوله مثلا بدل (ظلم زَلَم) أو (الزُّلم بدل الظلم) والزاي هنا بنطق آخر أيضا غير الذي نعرفه وهكذا ليتبين أنه يقصد المستبدلة دون كونها أصلية في الكلمة، كما يستبدل الذال بحرف الزاي أيضا، و السين أو التاء بدل الثاء، فتصبح كلمة ثَمَّ سَمَّ وهي الغالبة تقريبا أو ثُمَّ، وهكذا الجيم في محل الزاي أو العكس...و بالتالي فإن المشكل يكمن عنده في الحروف اللثوية تقريبا، ولكنه في واقع الأمر يكتبها صحيحة كما هي عليه في الأصل.

فإذا كان الواقع تحت إدراك الإنسان مُهمًّا يؤثر فيه صوتا، كان التعبير عنه بصوت يماثله أقرب للمتداول في عملية التواصل لأن الإنسان حينئذ يميل عادة للخفة والسهولة، أو أن الأمر يرجع لتقارب مخارج الحروف أو لشبه في صفاتها أو غيرها...

بطبيعة الحال أن الفرد لا يميل إلى شيء لا يحبه مطلقا لأنه حينذاك حتما لن يعطيه الكثير ولذا فإنه لابد أن يتعلق بالشيء ويحبه حتى يقدم ما له، لذا فإن اختيارنا لهذا الموضوع لم يكن بعد تفكير مطوّل بل كان بعدما تلمسنا انتشار هذه الظاهرة انتشارا مشينا في بيئتنا المحيطة بنا من خلال تعاملاتنا اليومية و هو ما لفت انتباهنا و أثار فضولنا. وما زاد في الأمر شدة هو ارتباط هذه الظاهرة بأساتذة الجامعة الذين تأثروا بها و كذلك أساتذة المراحل السابقة قبلا، ونقصد بذلك على وجه الخصوص أساتذة اللغة و الأدب العربي ، وحتى أساتذة العلوم الإسلامية، لأننا حينما نتحدث عنهم فإننا نتحدث عن الوعاء الذي يحفظ للعربية ماء وجهها بجميع ما تحمله من قيم، ولكن الأمر فعلا خرج عن السيطرة عندما أصبح القرآن الكريم يقرأ بهذه الظواهر الصوتية، والمصيبة أمام جيل ما زال يتطلع إلى مزيد من العلم باعتباره حامل شعلة المستقبل ولا بد أن يثبت على قوام لغوي سليم بكل ما تعكسه الكلمة من دلالة ، و بصراحة قد حزّ الأمر في نفسنا كثيرا، وخصوصا عندما استشعرنا أن هذا الأمر سينعكس سلبا على التحصيل العلمي للمتعلمين، لأنه حتى لو كان المعلم ذي علمٍ رفيعٍ ومستوى عالٍ، فوجود هذه الظواهر فيه ستقص لذة التلقي عند المتعلم و تمنعه من بلوغه إلى مراده.

لعل هذه الأسباب كانت دوافع ذاتية بالدرجة الأولى، أما الأسباب الموضوعية فتكمن في محاولتنا كشف الغطاء عن بعض المشكلات اللغوية التي تعاني منها العربية وإظهارها للعيان علها تجد أذانا صاغية لتصحيحها وإيجاد حلول لها كفيلة بالقضاء على كل ما يعيقها . و إضافة إلى ذلك فإن المنطقة فعلا في حاجة ماسة لمثل هذه الدراسات التي كما يبدو هي قليلة جدا لا تكاد تذكر لإثراء خزينتها العلمية حديثة الولادة - إن صح القول - للمضي بها قدما.

ولمعالجة هذه الإشكالية والوقوف على جملة التغيرات التي طرأت على أصوات العربية الفصحى ارتأينا أن يقتصر بحثنا على جزء منها مسّته تلك التغيرات ، فوقع بذلك اختيارنا على الحروف اللثوية الثلاثة كنموذج سائد ضقنا ذرعا منه بعد سماعنا الكثير به وعنه أيضا ، وعليه كان بحثنا موسوما ب : " التداخل الصوتي بين اللغة العربية الفصحى واللهجة العامية - الحروف اللثوية بمنطقة تمرست أنموذجا - " .

وكان قبل ذلك لزاما علينا الإشارة ، بعد البحث المتواصل ، إلى أهم المراجع التي تناولت في طياتها ما يصب في فحوى الموضوع ، وقد أثار انتباهنا مجموعة من المؤلفات لباحثين عرب كرسوا جم جهودهم لنزع الستار عن التطورات اللغوية المختلفة و إن أهم ما استوقفنا كتابان أحدهما لـ " حسام سعيد النعيمي " الموسوم بـ " أصوات اللغة العربية بين الثبات والتحول " ، أما الآخر فلـ " عبد القادر عبد الجليل " عنونه بـ " الدلالة الصوتية والصرفية في لهجة الإقليم الشمالي " .

التمسنا لبحثنا منهجين اتضح لنا تأديتهما للغرض المرجو بلوغه، فكان الأول منها وصفا تحليليا لدراسة واقع الظاهرة الصوتية وتبيان أسبابها مستندة إلى الواقع ، وثانيهما منهج تقابلي يوضح لنا الظاهرة من حيث التشابه والاختلاف مقارنة بأصوات اللغة العربية الأصلية في الكلمات.

أما طبيعة البحث فاقترضت منا أن نضع له خطة تضمنت ثلاثة فصول سبقت بمقدمة و عقت بخاتمة ، حيث تشكلت هيكلتها كالآتي :

- مقدمة.

- مدخل : وفيه تمت الإشارة إلى مفهوم علم الأصوات ، سبب ظهوره ، الغاية منه وأنواعه (الصوتيات السمعية ، الفيزيائية ، التجريبية ، المقارنة...) إلى جانب الإشارة إلى الجهود اللغوية المختلفة من النحو الهندي إلى الحضارة اليونانية مروراً بالحضارة الرومانية ووصولاً إلى جهود العلماء العرب المسلمين القدامى ثم بعض المحدثين و المعاصرين.

- الفصل الأول : و تطرقنا فيه إلى التداخل الصوتي في اللغة العربية الفصحى ، حيث تناولنا فيه مصطلح التداخل كظاهرة صوتية بتحديد مفهومه ، بعدها تطرقنا إلى الحديث عن بعض مظاهر التداخل الصوتي في العربية الفصحى انتهاء بمظاهر هذا التداخل في بعض اللهجات العربية.

- الفصل الثاني : فيه تقصينا أهم الأسباب التي أدت إلى حصول هذا التداخل والتغيرات الصوتية في اللغة العربية الفصحى من وجهة نظر علماء اللغة ، إضافة إلى الوقوف على جملة من القوانين الصوتية المتنوعة التي سخرت بغية ضبط قواعد اللغة عموماً ، ثم تبيان انعكاسات التغيرات الصوتية على صورة اللغة خصوصاً.



- الفصل الثالث : وهو أهم فصل تطبيقي يجسد الدراسة الميدانية لواقع التداخل الصوتي للحروف اللثوية الثلاثة بين اللغة العربية الفصحى واللهجة العامية في منطقة تمنغست وقد شفع ببعض الحلول والإقتراحات قبل نهاية البحث.

- الخاتمة : جاءت بحوصلة مجملّة لما قد توصل إليه البحث.

ككل بحث علمي لابد و أن يصادف فيه الباحث بعض العوائق التي تحول دون بلوغه المرام ، فقد اعترضت طريق بحثنا بعض الصعوبات التي تمثلت في ندرة المصادر والمراجع المتعلقة بالدرس اللغوي عموما و في منطقتنا خصوصا ، و إن وجدناها فشُحّ في المادة العلمية التي توصلنا إلى الهدف ، وزيادة على ذلك صعوبة في تجاوب بعض الفئات التي قصدناها في الجانب التطبيقي بحجة عسر الموضوع المتناول و غرابة المادة - أي الصوتيات - عن بعضهم و أمور أخرى... لكن بتوفيق من الله عز وجل بذلنا كل ما بوسعنا من جهد للوصول إلى ما وفقنا إليه على أن نكون قد أنجزنا العمل إنجازا يشبع فضول المهتمين بهذا الموضوع على الأقل . والله نحمد ونسأله التوفيق والسداد .

المدخل

الفونولوجيا أو la phonologie ، هو ذلك المصطلح الذي يترجم باللغة العربية الفصحى على أنه الدراسة العلمية الحديثة لعلم وظائف الأصوات هذا العلم الذي أصبحت البشرية تردده بجميع الألسن بعدما غزى ساحة العلوم الحديثة في العقود الأخيرة، لماذا؟ لأنه العلم الذي أزال تلك الهالة التي لطالما شابت اللسان البشري منذ الأزل وحيرت الإنسان بسبب طبيعته التركيبية التي اختص بها، إذن فقد ظهرت مبادئ هذا العلم في النصف الثاني من القرن التاسع عشر أو قبيل ذلك بقليل .

فباعتبارها سلسلة متطورة مرتبطة بعلم الأصوات العام أو الصوتيات الذي عرفته الإنسانية منذ أمد بعيد وذلك تحديدا ما يعكسه تاريخ الأمم العريقة على وجه الخصوص، نعني بذلك الحضارات التي أولت هذا الموضوع اهتمامها البالغ وعنايتها الكبيرة ليستحوذ على تفكيرهم ويأخذ حصة الأسد على غرار مجموعة من العلوم التي استعان بها في رسم معالمه الواضحة و محاوره المتعارف عليها بداية من الدراسات العربية القديمة وانتهاء بجهود أوروبا والأعمال اللغوية الحديثة على مر الأزمنة.

والتغيرات الصوتية الكثيرة والمختلفة التي مست أصوات لغة البشر بكثير من الاختلاف أيضا ولدت ضرورة في وضع النقاط على الحروف والوقوف على قضية الأصوات اللغوية في كل لغة في جميع ما يرتبط بها من مخارج ، و صفات وخصائص ، و طبيعة وغيرها وبالتالي بعدما " كان اهتمام علم الأصوات العام phonétique منصبا على لغة واحدة إذ عني بدراسة النظام الصوتي للغة معينة "(1)...لكن هذا الأمر لم ينحصر على هذه النقطة فحسب بل تجاوزه لأكثر من ذلك وهذا " حين اتضح لعلماء الصوت أن بالإمكان دراسة الجهاز الصوتي العام عند الإنسان . حينئذ تشعب علم الأصوات إلى علمين...ينصرف أحدهما، وهو الفونولوجيا أو علم النظام الصوتي، إلى علم الإعتناء بدراسة المنظومة الصوتية في لغة معينة... وعلم آخر هو الفونيطيقا أو علم الأصوات العام أو علم الفونيمات...(2)

1 - رومان جاكبسون و مورييس هالة - أساسيات اللغة - ترجمة سعيد الغانمي - المركز الثقافي العربي - بيروت - ط1- 2008م - ص 12.

2 - المرجع نفسه - ص 12.

إن هذا التفرع الذي انبنى عليه هذا العلم لهو دليل واضح أولا على مدى أهمية الصوتيات في حياة الأمم ومعرفة جوانب حياتية عنها مختلفة. وثانيا على أهمية الدرس اللغوي من جانب آخر وضرورة الوقوف على مكونات تلك اللغات الأصلية و رصدها عن كُتب و بجد مطلق وعناية ودقة لا متناهيتين تسمح للإنسان كونه الركيزة الأساس التي تحمل هذا و تتصل به اتصالا مباشرا، وكونه السبب الرئيس المتحكم في تلك الاختلافات والتغيرات التي تشهدها تلك الوسيلة المتعارف عليها، والتي لا مناص للهروب منها باعتبارها سلك التواصل بين بعضنا بعض بمعرفة صحيحة لمكونه اللغوي.

ومنه فإن الصوتيات لم تقف عند هذا الحد فقط من التقسيم والتنوع حيث نحت منح أخرى حسب ما أملت طبيعة النظام الذي أبهر علماء اللغة ألا وهي اللغة في حد ذاتها كوسيلة وغاية في آن واحد، بمعنى أن الفرار يكون منها وإليها للوقوف على كل صغيرة و كبيرة تتعلق بها وإذا أردنا الوقوف على بعض أنواع الصوتيات فلدينا أيضا حسب ما خلصت إليه الدراسات الصوتية بعد جهود طويلة وتراكمات بحوث كثيرة و متعددة منها :

1/ - الصوتيات الفيزيائية، الأكوستيكية :

يهتم هذا الفرع من الصوتيات بمرحلة إنتاج الأصوات أو نطقها لحظة صدورها من فم الإنسان باعتبار "الصوت ظاهرة فيزيائية تنتقل عبر وسط الهواء إلى أذن السامع ومنه إلى جهازه الإدراكي في المخ".(1)

فهو يُعنى بالكشف عن طبيعة كل عضو في جهاز النطق والدور الذي يلعبه هذا العضو أثناء عملية الكلام في كل صوت من أصوات اللغة المنطوقة بطبيعة الحال. أي أنه يقوم برصد تلك الإهتزازات و الموجات أو بشكل آخر الذبذبات الصوتية الناتجة عن حركة أعضاء النطق بدرجات مختلفة باختلاف الأصوات اللغوية المعبر بها، ليحدث علم الأصوات الفيزيائي ثورة في الدرس الصوتي وذلك بتقديم وسائل جديدة لدراسة الأصوات ووصفها .

والصوتيات الفيزيائية من الواضح أنها لا تصل إلى أهدافها المنشودة إلا بوجود وسائل وآلات تساعد الباحث على معرفة طبيعة الصوت وكيفية حدوثه وتحديد مخرجه وبدقة و رصدها أثناء عملية الكلام طبعا حتى تتضح هذه الجوانب " فالإنسان عندما يتكلم تحدث تحركات شفثيه ولسانه وتيار نفسه انتقالات و اضطرابات في الهواء المحيط به..."(2)

1 - عصام نور الدين - علم الأصوات اللغوية الفونيتيكا - ط1 - دار الفكر اللبناني للطباعة والنشر - بيروت - 1992م - 45.

2 - عبد العزيز أحمد علام وعبد الله ربيع محمود - علم الصوتيات - ط3 - مكتبة الرشد - السعودية - 2009م - ص 134.

وقد ساعد هذا النوع من الصوتيات العلم الحديث كثيراً باعتبارها سهلت له طريق البحث على حقيقة الصوت البشري ، كما أنها أكدت جهود علماء اللغة الأوائل من العرب ومنها تعريفهم الدقيق له وكأنهم أمام جهاز حديث متطور يصور لهم كيفية حدوث الصوت في جهاز النطق مع غياب ذلك في زمنهم، ومن هذه التعريفات يستوقفنا ما قدمه " الجاحظ " حيث قال : " الصوت هو آلة اللفظ و الجوهر الذي يقوم به التقطيع ، وبه يوجد التأليف . ولن تكون حركات اللسان لفظاً و لا كلاماً موزوناً ولا منثوراً إلا بظهور الصوت ولا تكون الحروف كلاماً إلا بالتقطيع والتأليف ."(1)

هذا وقد سمح بشكل كبير جداً و بمعرفة دقيقة و أكثر تفصيلاً بكل ما يمكن أن يرضي فضول الباحثين الذين كرسوا جميع جهودهم وكل ما أتاح لهم فرصة الإطلاع على حقائق الأصوات البشرية في ظل التطور العلمي الذي ساد جميع المجالات وبالتالي في ميدان الدرس اللغوي المعاصر. خاصة أن التأسيس العلمي لمبادئ علم الأصوات يقتضي على الدارس معرفة خصائصه الفيزيائية والفيزيولوجية بحكم أنها ظاهرة طبيعية يتوقف حدوثها على جهاز النطق الإنساني ، والمتاحات الفيزيائية التي ينتقل بها الصوت اللغوي من المرسل إلى المرسل إليه.

2/ - الصوتيات المقارنة :

يهدف هذا الفرع من خلال مفهومه إلى تعيين عائلات الألفاظ أو اللغة عموماً ومعرفة جذورها التي تقترب من المحاكاة الأولى للصوت الطبيعي الذي يلزم مدلولها، أليست الأصوات التالية شبه محاكيات مختلفة ومجهرية لصوت الزفير يتبعه الشهيق: إن سان (عربية) إي شان (هم هن هما بالفارسية) ، و إن فان (enfant = طفل بالفرنسية و هكذا..."(2)

وعليه فإن كل اهتماماته تنصب في دراسة التغيرات التي تطرأ على اللغة منذ لحظة وجودها وصولاً إلى زمن الدراسة لاستظهار ميزاتها المختلفة بطرق جد دقيقة ومؤكدة، سواء أكان ذلك على مستوى اللغة الواحدة أم على مستوى لغتين اثنتين مختلفتين أو أكثر للوقوف على أوجه التشابه وأوجه الاختلاف بينها لالتماس ما يساعد على معرفة الطبيعة الحقيقية والأصلية الأولى للأصوات اللغوية المختلفة التي تغيرت بفعل عوامل عديدة اقتضتها ظروف الحياة وفرضتها على الإنسان بمراحل متباينة من الزمن.

1 - الجاحظ - البيان والتبيين - ج1 - ص79.

2 - نعيم علوية - بحوث لسانية - المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع - بيروت - ط2 - 1986م - ص 18.

وبالتالي فإن الهدف من هذا الفرع من الصوتيات ينضاف إلى الهدف العام الذي وجدت من أجله الصوتيات العامة كما يشير إليه كمال بشر قائلا: " والأغلب أن تكون الدراسات التاريخية والمقارنة ذات طابع فونولوجي لفقدان عنصر النطق في الفترات غير المعاصرة. "(1)

3/ - الصوتيات التجريبية :

يتضح من مصطلح التجريبية الدور الذي حدد لهذا النوع من الصوتيات وهو قيامه على الآلات الحديثة والمتطورة كالصوتيات الفيزيائية مثلما تمت الإشارة إليه وعليه "تظهر حاجة الفونيتيكا الأكوستيكية إلى هذا الفرع على أنها أكبر من الفونيتيكا النطقية إليه حيث يقوم بإجراء التجارب المختلفة على الصوت ، بواسطة الآلات الحساسة الحديثة. ولذلك يسمى أيضا بالفونيتيكا الآلية la phonétique instrumentale أو العملية أو المخبرية la phonétique laboratoire..."(2)

إن اعتماد هذا النوع من الصوتيات على التقنيات الحديثة و المعاصرة المتطورة يبرز لنا مدى جدية الباحثين اللغويين، وأهمية البحث اللغوي في الوقت نفسه لترسيخ مبدأ الشمولية وترصيص مبادئه على نحو شامل للسان البشري ، من خلال إحكام القبضة على خصائصه وذلك بضبط الصورة الحقيقية التي ترصدها تلك الآلات الحديثة وأخذها على محمل الدقة والجد.

عالج هذا الفرع من الصوتيات مشكلة الآلات والأدوات والوسائل المستعملة في الدراسات الصوتية على اختلاف وظائفها "لتسجيل بنية الصوت وذبذباته فتطبعه على أشرطة مسجلة وتجمع بصماته، وهناك آلات كاتبة متطورة تستعين بالدماغ الإلكتروني وتحول النصوص المكتوبة إلى نصوص محكية...وهناك مجموعة من الآلات الصوتية جُهِّز بها الإنسان الآلي robot في جامعة ستانفورد stanford والذي يقوم بتركيب الأصوات اللغوية للتعبير عما يخالجه - إن صح القول - من عواطف. أو يلتبس له من حاجات...منها آلة كوبر و زملائه...إلخ."(3)

1 - كمال بشر - علم اللغة العام - د ط - دار المعارف - مصر - 1971م - ص 32.

2 - أنظر : عصام نور الدين - علم الأصوات اللغوية الفونيتيكا - ص 134.

3 - أنظر : المرجع نفسه - ص 136.

إن التأكيد على مشروعية التطبيق العلمي في الدراسات اللغوية الحديثة أضحى اليوم مطلباً أساساً لا مناص للتخلي عنه، خاصة ما تعلق منها بالجانب المادي القابل للقياس والضبط الآلي حيث تطرح البحوث اللغوية اللسانية على وجه التحديد خيارات علمية وتطبيقية ، تخرج بالصوتيات من بوتقة الملاحظة القائمة على الفرضية والتفكير الأولي، إلى حيز آخر أكبر تتسع فيه فرص استيعاب المعطيات العلمية الجديدة المتجددة التي تفرضها العلوم التطبيقية مما يسهل مسايرة متطلبات البحث العلمي الجديد على بلوغ غاياتها.

4/ - الصوتيات السمعية phonétique auditive :

واضح من خلال اسمها الدور الموكل إليها في علم الأصوات العام ؛ ألا وهو جهاز السمع أي الأذن حيث أنه "...يدرس الذبذبات الصوتية وتموجات الصوت لحظة استقبالها في أذن المتلقي أو السامع...وكيفية تحولها إلى رسائل مرّزة عبر الأعصاب إلى الدماغ...وقد مكن اشتغال هذا العلم في الجهاز السمعي و أجزائه و تركيبه ووظيفته...الدارسين من إصلاح بعض عيوب السمع النفسية والفيزيولوجية...لأنه أصبح مجالاً لتخصص بعض الأطباء فيه."(1)

والمتمعن في هذا الفرع من الصوتيات يدرك مدى ارتباطها بأمراض الكلام التي شكلت عائقاً كبيراً أمام من هم جزء من هذه المشكلة لكشف الستار عن الأسباب المباشرة أو أهمها إن لم نقل كلها، ومعرفة مدى وثاقة علاقتها بجهاز السمع باعتباره الوسيلة المباشرة التي تساعد على استيعاب الكم الهائل من الأصوات الإنسانية وترجمة خصائصها لنقلها إلى الدماغ البشري. ليكون بمثابة المرشد الذي يأخذ بيد الباحث ليجد التفسيرات ، و التحليلات المنطقية الصحيحة البعيدة عن الشكوك و التأويلات التي توقعه في حيرة من أمره.

ورغم ما توصل إليه العلم و تطور الأجهزة والآلات الحديثة التي أوجدتها الحاجة الماسة لما فرضته العناية الجادة بالأصوات اللغوية ، والتي كشفت عن نتائج أكثر دقة . " إلا أن تعرف العقل على الأصوات الكلامية وتفسيرها ما يزال بعيداً عن منال الفحص المعملّي لأن الفحص المباشر للعقل معوق بانفراد الإنسان بخاصة الكلام ، فما دامت الحيوانات لا تتكلم ، فإن التجارب على عقولها لا تعطينا شيئاً والفحص المباشر للعقل البشري محكوم بقيم أخلاقية ، ولهذا فإن معلوماتنا في هذا الموضوع لا تزال تخمينية حتى الآن ."(2)

1 - عصام نور الدين - المرجع السابق - ص 153.

2 - أحمد مختار - دراسة الصوت اللغوي - عالم الكتب - القاهرة - 1997م - ص 48.

وعليه فإن علم الأصوات جديد وقديم ، لماذا ؟ فهو جديد لأنه واحد من فروع علم اللسانيات الذي يعود تأسيسه إلى مطلع القرن السابق - القرن العشرون - على يد اللغوي السويسري "فرديناند دي سوسير" FERDINAND DESAUSSURE. و قديم لأنه من العلوم التي تقوم عليها كل لغة ولما كان الأمر كذلك قد عني أصحاب كل لغة بأصواتها منذ أقدم العصور.

و علماء العربية المسلمون على غرار غيرهم من علماء اللغات الأخرى ، كان لهم باع معتبر في هذا العلم هم أيضا فقد تنبهوا قديما إلى البوادر الأولى له من خلال وقوفهم على أصوات العربية وإدراكهم إلى وجود شيء ما يميز حقيقة أصواتها فكانت بدايات الدرس اللغوي على يد مجموعة من العلماء الحاذقين أمثال " الفراهيدي ، سيبويه ، ابن جني" وغيرهم كثير. فاقت جهودهم كل الوصف في عصر بعيد لم يكن فيها للحدائث والمعاصرة معنى يذكر ، فاعتبرت جهودهم بوابة العبور إلى علم سيشكل بعدهم حدث العصر.

وقد اقتصر تفكير العقل العربي في الدرس اللغوي أول الأمر في جملة من النقاط العامة التي عكست حاجة البيئة العربية في فترات ما يعرفها العام قبل الخاص وإن كانت الملاحظات اللغوية الأولى قد صدرت من ولادة الأمر والعلماء والصحابة والتابعين بصورة شفوية فقط. "فإن الجهد اللغوي المنظم بدأ بالأوراق الأربع التي ذكر "ابن النديم " أنه شاهدها بخط يحيى بن يعمر عن أبي الأسود الدؤلي . فيها كلام عن الفاعل والمفعول ، ثم اتسعت حركة جمع اللغة واستخلاص قواعدها حتى انتهى ذلك الجهد بظهور الكتب الجامعة التي تضم ألفاظ اللغة. على نحو ما نجد في المعجمات كالعين للخليل أو تعرض قواعد اللغة على نحو ما نجد في كتاب " سيبويه" وغيره من كتب النحويين و اللغويين..."(1)

وبالتالي "فلقد كانت بواكير الدرس الصوتي العربي مختلطة بالدراسات اللغوية و النحوية الأولى، فتعددت اتجاهات الدرس الصوتي بتعدد مجالات التوظيف في العلوم العربية والإسلامية التي فرضتها الظروف المختلفة للجزيرة العربية. منها الإتجاه اللغوي الذي استهله أصحاب المعاجم منهم " الخليل" صاحب العين (ت175هـ) الذي أحس كثيراً بجوانب المشكلة الصوتية."(2)

1 - مهين حاجي زاده - دراسة آراء سيبويه الصوتية في ضوء البحث اللغوي الحديث - مجلة التراث الأدبي - العدد الخامس 1388هـ - 1967م - ص 39.

2 - المرجع نفسه - ص 40.

كان لصاحب العين كل الفضل في تحديد مخارج الحروف العربية ووصفها وصفا دقيقا قائما على الملاحظة فقط دون وسائل تذكر وفق ترتيب صوتي لازالت نتائجه ومظاهره مستعملة إلى حد الساعة. و لا يفوت أي باحث في التراث اللغوي العربي فرصة استشعار دقتها رغم التطور الهائل للوسائل المسخرة في هذا العلم بغية دراسة الأصوات البشرية.

وعليه تواصلت جهود العلماء المسلمين في هذا الصدد حيث أتى " بن جني " ليكون أول من أفرد للأبحاث الصوتية مؤلفاً مستقلاً ونظر إليها على أنها قائمة بذاتها في كتابه سر صناعة الإعراب الذي بسط فيه الكلام عن حروف العربية وصفاتها ، وأحوالها... وإنما تعداه ذلك إلى كتبه الأخرى ، في مقدمتها الخصائص الذي تضمن مادة صوتية غنية..."(1)

ومن الإهتمامات اللغوية العربية التي عكست قوة التفكير العربي بإحداث ما هو مسخر لدراسة العربية دائماً اتجاه آخر يندرج ضمن هذا البحث اللغوي والذي مثله " دارسو الإعجاز و البلاغة والنقد ممن عرضوا لفصاحة الكلمة من هؤلاء " الرماني ، ابن سينا الخفاجي وبهاء الدين السبكي "...أما ثالث هذه الإتجاهات علم النحو الذي يظهر الدرس الصوتي استقلاله عن كتب القراءات من علماء "أبو الخير محمد بن الجرزي " (ت85هـ) في شرح المقدمة الجرزية . "محمد المرعشي " الملقب بـ" ساجقلي زادة".(ت737هـ) الذي ألف كتابه جهد المقل الذي تضمن دراسات صوتية واسعة..."(2)

وقد أظهر الإعجاز القرآني ، وعلم النحو العربي اعتمادا كبيرا على هذا العلم الذي كان له الفضل الكبير في تقعيد المبدأ الخاص الذي انبنت عليه العربية الفصحى ، وتطبيق قواعده تطبيقا علميا منظما لارتباط علم الإعجاز بكتاب الله جل وعلى لغرض الوقوف على تلك الحروف التي نزل بها وأنواع القراءات ، أما علم النحو فكان لغرض الوقوف على أقسام الكلام في العربية الفصحى وتمييز وظائف الكلمات داخل السياق إضافة إلى وظائف الحروف حسب مقتضى الحال...إلخ.

ويأتي الإتجاه الرابع وهو " إتجاه علمي ،ثمرة للترجمة المباشرة عن الطب اليوناني وقد مثل هذا "ابن سينا" (ت 228هـ) في رسالته رسالة أسباب حدوث الحروف حيث أظهرت الرسالة معرفة جديدة عن الإتجاهات الثلاث تعتمد على التطور العلمي من خلال توليد المصطلحات. وضبط التعبير و الابتعاد عن خصائص اللغة الأدبية..."(3)

1 - مهين حاجي زاده - المرجع السابق - ص 40.

2 - المرجع نفسه - ص 42.

3 - المرجع نفسه - ص 43.

تلك الجهود الحثيثة المتواصلة تؤكد البحث والعمل الجاد والمحكم لعلماء العرب للتشبث بكل ما يخدم العربية من قريب أو من بعيد ، وما اطلعهم على العلوم اليونانية ومعرفتهم بجهود اليونانيين في مجالات عدة على سبيل المثال إلا دليل واضح يوضح بدوره مدى حرصهم الكبير على خدمة هذا العلم الذي كان لا يزال في تلك الفترات حديث الولادة و في طريقه الكثير من الوقت حتى ينمو ويصل إلى ما هو عليه الآن.

يتضح أن هذا الإتجاه أراد أن يبرز استقلالية هذا العلم عن العلوم القديمة بتحديد مصطلحات خاصة بهذا العلم تحديدا دون سواء بعيدا عن تكرار المصطلحات العربية التي تداولها علماء اللغة بكثرة لشدة استهلاكها في جميع فروع اللغة مما بعث بالملل في نفوسهم من جهة ، وحثهم على مواصلة البحث اللغوي بكل الوسائل بداعي الوصول لنتائج أرقى و أفضل من جهة أخرى.

ومن العلماء من أعاب على الدراسات اللغوية العربية إهمالهم لبعض الجوانب الصوتية المهمة التي تشكل نقطة بارزة في العملية الصوتية من خلال علاقتها الوطيدة بطبيعة الأصوات اللغوية العربية وتتأثر بها ، فكان مما لم يولوه عناية مسألة الحركات وقد يكون سبب ذلك أنها " لم تكن موجودة في الكتابة بل أضيفت فيما بعد... وهذا الأمر جعل اللغويين يركزون اهتمامهم على الحروف الصامتة بوجه خاص... كما خلط بعض اللغويين العرب بين حروف المد واعتبروها نوعا واحدا بينما هي في الواقع نوعان مختلفان". (1)

لم يكن لهذا العلم في أزمنة غابرة اهتماما من طرف علماء العربية القدماء فحسب ، بل تجسد الأمر قبل ذلك بأمد طويل جدا كما أشرنا مسبقا بل أن العرب أنفسهم طوروا هذا الجانب من خلال ارتباطهم بالحضارات الغربية القديمة التي تقطنت لمثل ذلك الدور. فاستخلصت مما تملكه من إمكانات بسيطة جوانب اعتبرت البوابة الأولى التي مهدت الطريق وفتحت الباب واسعا لتنفيذ أفكار كثيرة ولدت تلك التفرعات المتباينة التي جسدها غايات و أهداف هذا الجانب في اللغات الإنسانية .

1 - نايف خرما - أضواء على الدراسات اللغوية المعاصرة - سلسلة علم المعرفة - المجلس الوطني للثقافة و الفنون و الآداب - الكويت - سبتمبر 1987م - ص 216-217.

علم الأصوات العام عند الغربيين : عرفت الدراسات الصوتية عند الغربيين تطورا كبيرا إذ مرت بمراحل حضارية عديدة منها :

الحضارة اليونانية/ عند سماعنا بالحضارة اليونانية يتبادر إلى أذهاننا مباشرة مصطلح وثيق الصلة بها وهو الفلسفة أو المنطق و من حمل لواء هما ، فبمجرد ذكر هذه الأسماء الشهيرة؛(أفلاطون ، أرسطو ، سقراط ، المدرسة الرواقية...وغيرهم كثير) تحضر الفلسفة هذا العلم الذي أثار كثيرا من الجدل و طرح قضايا متنوعة عن الحقائق الكونية ، ومن أهم ما تناولته وجعلته منبرا للنقاش و التساؤل مسألة اللغة ، عندما حاولت معرفة حقيقتها و مفهومها ، أصلها ، مدى ارتباطها بالفكر ، أسبقية كل منهما على الآخر- اللغة والفكر- أي إذا كان الإنسان يفكر قبل أن يتحدث أو العكس .

والفلسفة في أحد تعاريفهم للإنسان يرون : أنه حيوان ناطق ، والنطق هو إصداره مجموعة من الأصوات المتتابعة التي تشكل فيما بعد دلالة معينة تمثل لغة الإنسان وبالتالي تكون هذه أولى الإشارات لظهور علم جديد وهو علم اللغة فكانت البوادر الأولى . " و اعترف الرواقيون بأهمية الدراسات اللغوية ، وتناولوا بصفة خاصة الدراسات الفوناتيكية والنحوية والدلالية ، ووجها جل اهتمامهم إلى النحو ، يرى كثير من الباحثين أن هذه الدراسات تعد البداية الحقيقية للدراسات النحوية العلمية عند علماء الغرب."(1)

ولم تتوقف جهود اليونانيين عند هذا الحد فحسب بل أنتج اليونانيون في مجال المعاجم عددا ضخما منها، كانت القرون الأولى بعد الميلاد تمثل العصور الذهبية لهذه المعاجم بخاصة في الأسكندرية نذكر من أشهرها معجم أبو قراط Hippocrate ألفه عام 180ق م وهو معجم ألفبائي."(2)

1 - محمود جاد الرب - علم اللغة نشأته و تطوره - ط1 - دار المعارف - مصر - 1985م - ص 09.

2 - السعيد شنوكة - مدخل إلى المدارس اللسانية - المكتبة الأزهرية للتراث - القاهرة - 2008م - ص 15.

نلاحظ أن المعاجم اليونانية كانت تحمل في طياتها أصوات اللغة اليونانية التي سادت في فترات وجودها للوقوف على سماتها التي تميزت بها بعد جمعها في موضع واحد كان بمثابة انطلاقة عملية البحث اللغوي الصوتي كي يثبت الجهود الجادة للخروج بهذا العلم من بوتقة السكون التي كان منغمسا فيها لأسباب دعت الحاجة إليها بعدما: "نشأت حركة علمية تهدف إلى المحافظة على اليونانية الكلاسيكية والإهتمام بلغة المؤلفين الكلاسيكيين وضرب الأمثلة من شعرهم ونصوصهم ودرست الإلياذة و الأوديسة نماذج تعليمية في هذا الإطار"(1).

الحضارة الرومانية/ كان للحضارة الرومانية اهتمام بالجانب اللغوي الصوتي أيضا، و إن كان لا يوصف بالأهمية نفسها التي حظيت بها الجهود اليونانية ، إذ أن الرومان قلدوا في كل أعمالهم اليونان بدء بالملحمة التي كتبها فيرجيل وتناول فيها تاريخ الرومان سيرا على منوال هوميروس اليوناني بملحمتيه الشهيرتين وصولا إلى العلوم الأخرى منها علم اللغة بما فيها الجانب الصوتي ، لكن بصيغة رومانية فحسب " أما النحو اللاتيني فإنه يعد امتدادا للدراسات النحوية عند اليونان ، بل إن الكثير من النحاة الذين ينتمون إلى الفكر اليوناني يعدون مؤسسي النحو اللاتيني ويشار في هذا المقام إلى " بريسكيان" على أنه أحسن من نقل منهج الأنواع والأجناس الموضوعة للغة اليونانية إلى اللاتينية مع تغييرات قليلة جدا." (2)

وعليه أثبتت الجهود اللغوية الرومانية عدم جدواها ، لأنها حضارة قامت على أنقاض الحضارة اليونانية بعد غزوها، وتبقى بالتالي طبيعة جهودهم الصوتية واضحة للعيان مما يظهر أن الدرس اليوناني والجهود الرومانية حصرت في تصنيف أصوات لغتهم حسب موضع النطق ، ومخارج الحروف من خلال ملاحظتهم للنتائج التي تصدر من نطق الحروف وكيف تلتقطها الأذن. ووصف هذه الأصوات من حيث مدى قوتها أكانت ؛ مهموسة ، مجهورة أم ساكنة...إلخ.

"و يشار إلى أن فارو varro (116-28 ق - م) كان أشهر النحاة اللاتينيين ، كما أنه يعد أول كاتب لاتيني موسوعي يتناول القضايا اللغوية. أشار إلى أن الأبجدية اللاتينية مأخوذة من اليونانية و اعتبر أن اللاتينية مشتقة مباشرة من اللهجة اليونانية الغربية المتمتزة بالبربرية."(3).

1 - محمود جاد الرب - علم اللغة نشأته وتطوره - ص 11.

2 - المرجع نفسه - ص 12.

3 - المرجع نفسه - ص 17.

وتوازيا مع تطور الدراسات اللغوية بفعل كل الجهود المنصبة عليها تطورت الدراسات الهندية في القرن الخامس أو الرابع الميلادي على يد باحثين يتقدمهم "بانيني". لخدمة كتابهم المقدس (الفيدا) وتجلت أبحاث "بانيني" اللغوية التي أسهمت في تطوير المنهج العلمي لدراسة الأصوات في الثقافة اللسانية المعاصرة. فقد درسوا الصوت المفرد وقسموه إلى علل وأنصاف علل وسواكن. وقسموا العلل إلى علل بسيطة و مركبة إلى غير ذلك... "(1)

وقد تعد الجهود الصوتية الهندية ذات الفضل الكبير في تمييز أنواع الصوت البشري من علل حسب الدور الذي تعكسه. خصوصا إذا أدركنا الدافع الهام الذي بدأت من أجله الدراسات الهندية وهو دراسة كتاب "الفيدا" الذي يحمل تاريخ الحضارة الهندية في مجال الدرس اللغوي.

ونجد إلى الجانب الصوتي دراسات ملحوظة في النحو الهندي ومن أهم مميزاته ما يلي :

1/ البدء بجمع المادة اللغوية وتصنيفها ثم استخلاص الحقائق منها مخالفين في هذا اليونانيين الذين بدؤوا من الفلسفة وحاولوا تطبيق قواعدها على حقائق اللغة.

2/ حلل أقسام الكلام ؛ اسم - فعل - حرف - إضافة - أدوات إلى عواملها الأصلية مميزين بين الجذر والأصل وبين الزيادة أو الحروف التشكيلية.

4/ عرف النحو الهندي الفعل السانسكريتي وقسمه إلى ثلاثة أقسام بحسب الزمن:ماض و حاضر ومستقبل. وقد نالت المعاجم اهتمامهم بتصنيف قوائم تضم الألفاظ الصعبة الموجودة في نصوصهم المقدسة ثم شرح معنى كل لفظ فيها ويعد عملهم هذا من قبيل معاجم الموضوعات أو معاجم المعاني.(2)

الملاحظ أن البحث الهندي أراد الوقوف بشكل جدي وبطريقة أكثر علمية عن منافسه ، فأعطى بدقة متناهية تصنيفات للغة السنسكريتية التي انعكست جهودها على الدرس الصوتي اللغوي المعاصر خصوصا أنه أول الإشارات إلى جانب الدرس اللغوي التي رسمت للتطورات الأخرى في هذا المجال طريقها، فشقت لنفسها ميدانا واسعا احتاج هو الآخر إلى سبل أخرى تمكنه من اجتياز العوائق التي اعترضته لمعرفة جميع الحقائق اللغوية والصوتية وقبل ذلك لمعرفة الأسس التي بني وقام عليها.

1 - السعيد شنوكة - مدخل إلى المدارس اللسانية - ص 14.

2 - المرجع نفسه - ص 14. و أنظر : أحمد عبد العزيز دراج - الإتجاهات المعاصرة في تطور دراسة العلوم اللغوية - دون طبعة - مكتبة الرشد - الرياض - السعودية - 2003م - ص 37.

و في القرن السادس عشر وما بعده ، شغلت الصوتيات الفكر الغربي حينما عكف على دراسة اللغة من خلال الوقوف على جوانب عدة منها؛ ما يتعلق بوظائفها ، تحديد مفهوم اللسان ثم مفهوم الكلام ، الدال والمدلول وغيرها... وبعد وقوفهم على لغة الإنسان توصلوا إلى تحديد نظام الألسن وأن لكل لسان بشري تقطيعه الخاص به . " إذا كانت الألسن كلها تجمع على استعمال التقطيع المزدوج فإنها تختلف في الكيفية التي يحل بها مستعملو كل لسان معطيات التجربة كما تختلف أيضا في الكيفية التي تستعمل بها الإمكانيات التي توفرها أعضاء النطق .وبعبارة أخرى فإن كل لسان يقطع بطريقته الخاصة الأقوال وكذلك الدوال..." (1)

يكمن الدور الهام الذي تمثله الصوتيات العامة - كما وصفت مسبقا- بوصف الموارد الكاملة للصوت المتوفرة عند الإنسان الراغب في التواصل عن طريق عملية الكلام "وهي في جوهرها لا تعتمد لغات معينة. بينما تقدم الفونولوجيا من بين الأشياء الأخرى وصفا للخيارات المحددة التي يقوم متحدث ما ضمن نطاق من الإمكانيات و لذلك نجد في المقام الأول أن الفونولوجيا تهتم بدراسة لغة واحدة...أي على أساس الحقائق الفونولوجية الثابتة للغات معينة لذلك نجد أن فروقا جوهرية بين نظامي الصوتيات و الفونولوجيا..." (2)

وقد رأت هذه الدراسة أن التحليل الفونولوجي لا يقدم حقائق ملموسة و فعالة كما حدث مع الصوتيات إذ أنها تشبه الكأس الفارغ أو المجموعة الخالية في الرياضيات التي لا فائدة منها. وقد اختلفت المدارس الفونولوجية أساسا في مبادئها العامة التي انطلقت منها استنادا إلى السياق التاريخي الفلسفي الذي وضعت فيه.

في النصف الأول من القرن العشرين أخذت تتنوع مدارس علم اللغة الوصفي واتجاهاته الذي وضع دعائمه "دي سوسير" فأثر على المدارس اللغوية الأوروبية التي تشربت من أفكاره في حين كان تطور علم اللغة الوصفي في أمريكا مستقلا ومختلفا عن اتجاهاته في أوروبا حيث بدأت مراحل نموه على يد علماء الأنثروبولوجيا الأمريكيين .

1 - أندري مارتيني - مبادئ في اللسانيات العامة - ترجمة سعدي زبيري - دار الآفاق - دون سنة - ص 22.

2 - كمال بشر - علم الأصوات - دار غريب للنشر و التوزيع - القاهرة - 2000م - ص 09.

و من أهم مبادئ المدارس اللسانية في جانبها الصوتي ما يلي :

* حلقة براغ: تأسست عام 1926م و بنت مبادئها على أفكار دي سو سير. وهي تمتاز فضلا عما سبق بعناية خاصة بالدراسات الفونولوجية على يد أشهر أعلامها من أبرزهم: ويليم ماثيوس ، نيكولاي تروبتسكوي ، رومان جاكبسون...

"و تُصنف أفكار تروبتسكوي للغة ضمن الإطار الوظيفي فقد كان تروبتسكوي يسند دورا وظيفيا أساسا للفونيم ، ويتجلى ذلك في كتابه (مبادئ علم الأصوات الوظيفي) وكان اهتمامه بالعلاقات الرأسية بين الفونيمات يمثل أعماله الدقيقة والتميزة... وأشار إلى أن التقابل الفونيمي قد يكون مؤثرا في بعض السياقات، ومنعدم الأثر في سياقات أخرى... وحد الفونيم عند تروبتسكوي أنه نموذج وحدة صوتية مستقلة لها القدرة على التمييز بين الكلمات و أشكالها. أو هو أصغر وحدة تشكيلية في اللسان المدروس". (1)

إن أهم عمل يمكن أن ينسب إلى مدرسة براغ في المجال الصوتي هو أنها ساعدت في تكوين مفهوم علمي واضح للفونيم في علم اللغة الوصفي القائم على الملاحظة والتسجيل ومن ثم التحليل والتفسير. هذا بعد أن كانت العناية به سطحية ذات نتائج عقيمة لا تقدم للدرس اللغوي شيئا يذكر.

* أما رومان جاكبسون/ فقد كان لأفكاره أثر واضح في جهود تشومسكي و اللسانيات الأمريكية في أواخر القرن الماضي. حيث تعد نظريته في الصوتيات الوظيفية أهم ما قدمه من أعمال. فقد دعا إلى الإستعانة بالآلات و الأجهزة في دراسة الأصوات و تحديدها بدقة. وأدى هذا بالتالي إلى تطور هذه الدراسة لما يعرف بعلم الأصوات التجريبي *phonétique experimentale*. خصوصا إذا علمنا بأن جاكبسون صب جل اهتمامه على أمراض الكلام من حبسة وتأتأة وعسر في النطق بعدما شاهده من انعكاسات جد مؤثرة للحرب العالمية الثانية في الجنود بالدرجة الأولى ثم في بقية الأفراد مما يبين لنا الدافع الأهم في اعتماده الآلات الحديثة التي وجدت لدراسة أصوات الإنسان في جميع حالاته.

1 - أنظر : عبد العزيز دراج - المرجع السابق - ص 88 - 89.

وعليه "تقوم فكرته في علم الأصوات الوظيفي على وجود نظام منبسط نسبيا وكليا يقع تحت الشكل الفوضوي الذي يضم جميع الأصوات اللغوية. ويرى " جاكبسون" أن نظم الأصوات في اللغات المختلفة لا تتجاوز كونها فروقا سطحية لها أساس عميق وثابت." (1)

فالمونيمات هي التي تأتي سوابقا أو لواحقا مثل ياء المضارعة أو تاء الفاعل في اللغة العربية فهي أقل بكثير من حيث العدد من مونيمات النوع الأول ، ووظيفة الفونيمات إنما هي التفريق أو المقابلة بين أصوات اللغة ووظائفها كما أن عددها محدود وتختلف اللغات بعضها عن بعض الآخر في طبيعتها. بل إن اللغة الواحدة قد تختلف في العدد من منطقة إلى منطقة أخرى.

"ومع أن أندري مارتيني martinet لم يعيش في براغ أبدا إلا أنه يعد أخلص أتباع منهج تروبتسكوي في مجال الفونولوجيا وهو من أكبر المؤيدين المعاصرين لأفكار مدرسة براغ. ويعتبر مفهوم الناتج الوظيفي التقابلي الصوتي من أهم المفاهيم الأساسية التي اعتمدها مارتيني لتفسير التغيرات الصوتية. كما يعتبر مفهوم النطق المزدوج من المبادئ الأساسية التي بنى عليها آراءه اللغوية أي أن الوحدة اللغوية ذات وجهين مونيم و فونيم." (2)

أسهم "مارتيني" في إزالة الفصل بين علم الأصوات phonétique المنسوب إلى العلوم وبين علم الأصوات الوظيفي phonologie ، " فقد عد الأصوات نوعا من الصوتيات الوظيفية وهو منظر في الأصوات الوظيفية الزمانية التي قصد من خلالها التركيز على تفسير اللغة بالاعتماد على مصطلحات سهلة خالية من الغموض على سبيل المثال اللغة langage والجملة phrase والوحدة الصوتية phoneme والوحدة الصرفية المونيم التي تقابل المورفيم في بعض النظريات الحديثة." (3)

يبدو واضحا ، من كلام "مارتيني" ، أنه يبعد من مجالات الدراسات الصرفية الصوتية التغيرات الصوتية المقنعة التي تنشأ منتظمة. كذلك التغيرات الصوتية التي تحدث في السوابق واللاحق أو في صيغ الجمع نتيجة مجاورتها لأصوات أخرى ، و مثل هذه التغيرات يعدها كثير من اللغويين من مجال الدراسات الصرفية الصوتية لا الصوتية البحتة.

1 - المرجع السابق - ص 90.

2 - المرجع نفسه - ص 90.

3 - السعيد شنوكة - المرجع السابق - ص 91.

من الحقائق التي أقرتها الصوتيات الفيزيولوجية وهي تختص بدراسة الخصائص الفيزيولوجية للأصوات اللغوية أن مخارج هذه الأصوات عديدة مثلها مثل الصفات أي كفيات الحدوث. و أن الجهاز الصوتي البشري يقدر على النطق بالعديد من الأصوات لكننا في الواقع نجد أن كل لغة لا تستعمل من هذه الإمكانيات إلا عددا يسيرا و قليلا منها المخارج و الصفات التي تناسب هيكلها و نظامها. إذ تطورت الأصوات واختلفت صورها في أفواه الناس كل حسب ما أتيح من مجهود يلائم الظرف الذي يمر به والمحيط الذي يعيش فيه فتصرفوا فيها و أخرجوها عن وضعها الطبيعي الذي سخر لها وهي المخارج التي حددت لها من أجل نطقها نطقا صحيحا إلى جانب صفاته المتعارف عليها منذ أمد ليس بقريب.

الفصل الأول

ظاهرة التداخل الصوتي في اللغة العربية الفصحى
واللهجة العامية

يرى " إبراهيم أنيس أن : " العرب القدماء في العصور الجاهلية وصدر الإسلام لم يكونوا يعبرون عما نسميه نحن باللغة إلا بكلمة اللسان تلك الكلمة المشتركة اللفظ والمعنى في معظم اللغات السامية شقيقات اللغة العربية. وقد يستأنس لهذا الرأي بما جاء في القرآن الكريم من استعمال كلمة اللسان وحدها في معنى اللغة. "(1)

فمنذ ظهور الخلق على وجه البسيطة لأول مرة - آدم عليه السلام - الذي احتاج إلى وسيلة يعبر بها عن نفسه ويتواصل بها مع أمنا حواء. " أصبح تكرار القول بأن الإنسان كائن إجتماعي أمرا مبتذلا . ولعل من أدل السمات على الطبيعة الإجتماعية في الإنسان تلك الغريزة التي تدفع على الفور الأفراد المقيمين معا إلى جعل الخصائص التي تجمعهم مشاعة بينهم ليميزوا بها عن أولئك الذين لا توجد لهم هذه الخصائص بنفس الدرجة. "(2)

إذن تختلف هذه الوسيلة التي مثلت عنوان كل حضارة منذ القدم إلى حد الساعة ، كما أنها كانت شعار الرقي و التطور العلمي في حقبة كثيرة جدا وفي جميع المجالات الحياتية المنشودة . لأن السلوك الجماعي يعكسه ثلاث درجات بلا رموز جماعية وبرموز جماعية غير شعورية وبلغة. ومن أرقى الوسائل التي وصل إليها الإنسان في تفاهمه مع أخيه اللغة الصوتية.

فمن آدم - عليه السلام - واللغات التي يستعملها نسله يتوالى عليها الإنقسام إلى لهجات. وبعد الطوفان توزع أبناء نوح - عليه السلام - في الأرض فنشأت مجموعات لغوية تنسب إلى أبنائه الثلاثة سام ، حام ويافث وكل منها له فروع متعددة في القديم والحديث. (3)

بمعنى أن تلك اللغات التي وجدت وتنسب إلى أبناء نوح - عليه السلام - شكلت مختلف اللغات الكبرى الأصيلة والباقية والبائدة التي سواء أكانت موجودة إلى حد الساعة عن طريق لغاتها و لهجاتها المتفرعة عنها أم أنها زالت وانتهت بزوال أصحابها.

1 - إبراهيم أنيس - في اللهجات العربية - ط2 - مكتبة الأنجلو المصرية - القاهرة - 2003م - ص 23.

2 - المرجع نفسه - ص 23.

3- أنظر : المرجع نفسه - ص24.

الفصل الأول

التداخل الصوتي في اللغة العربية - ظاهرة صوتية -

لا يخفى على معظم الناس أن اللغات السامية مثلا منها اللغتين العربية و العبرية سميتا كذلك نسبة إلى « سام » ابن « نوح » وعليه كما قيل أنه : " لا ريب في أن اللغة تبقى متحدة في المجتمع الذي يتخذها أداة له إذا كانت حياته الإجتماعية و الأرض التي يعيش عليها متحدة في أهدافها وعوامل تكوينها. فإذا تغير شيء من ذلك كان إيذانا بانشعاب تلك اللغات إلى فروع تسمى اللهجات." (1)

هذه اللهجات التي إذا تطورت وشاعت صارت تتأثر وتؤثر في بعضها بعض ، كما تصبح بشكل آخر مؤثرا في اللغة الأم التي انبثقت منها ألا وهي العربية الفصحى . لتخلق فيها بعض الأوجه الجديدة التي كانت العربية في غنى عنها ايجابيا كان الأمر أم سلبيا . المهم أن هذه اللهجات صارت جزءا فعالا له القدرة على التغلغل حتى في مكوّن لطلالما عرف بدقته وتماسكه وحصانته خصوصا وأنه الوعاء الذي جاء به كلامه جل وعلا - القرآن الكريم - حافظ هذه اللغة . هذا التغلغل جعل اللغة تكتسب حيزا جديدا في أصواتها أسهم هو الآخر في تطور الدراسات الصوتية بفعل هذا التحول لتعرف ظهور مصطلحات جديدة منها - التداخل الصوتي أو التغيرات الصوتية -... إلخ تتصب في أشكال مختلفة وتتبع من روافد متنوعة مما أظهر تباينات في النظام الصوتي العربي أو اللغة العربية وكل كيف ينظر إليه من علماء اللغة حسب تفسيراتهم لها.

1 - عبد الغفار حامد هلال - اللهجات العربية نشأة و تطورا - ط2 - مكتبة وهبة - القاهرة - 1993م - ص 38.

أ- مفهوم ظاهرة التداخل/

يفرض علينا عنوان البحث الإشارة إلى هذا المصطلح - التداخل الصوتي - الذي قصدنا به ذلك التباين الناتج عن التقاء لغتين مختلفتين، أو لهجتين مختلفتين أو بين لغة و لهجة وهذا هو مضمون البحث إذ أردنا أن نتحدث عن واقع اللغة العربية الفصحى و اللهجة العامية في منطقة تمناست.

في الأصل أن الحديث يجري عن التغيرات الصوتية في اللغة العربية ، إلا أنه رأينا من وجهة نظر المهتمين بالجانب الصوتي أن مصطلح التغيرات حينما عرض عليهم كل كيف فهمه حيث أثار عدة موضوعات منها :

- مصطلح الإزدواجية ظاهرة لغوية اتصالية في الشعوب التي خرجت من وطأة الإستعمار فأصبحت صورة عفوية للممارسات الكلامية العادية.

- كما أثار أيضا مصطلح الإحتكاك اللغوي بين اللغات والذي يَحْصُلُ عن طريق توظيف أصوات أجنبية ثم ألفاظ مفردة و أحيانا يجلب بعض التركيبات اللغوية الأجنبية لتدخل في جسم اللغة الوطنية.

- طرح المصطلح علاقة الدّوارج الجزائرية باللغة العربية الفصحى باعتبار الدّوارج نتاج تطور طبيعي مسائر لتطور المجتمعات العربية و أعرافها اللغوية ، وفي ذات الوقت هي خروج تعسفي عن قواعد الفصحى وفي خضم هذا كله فإن الدّوارج مهما استعملت فهي كلام بسيط لا يرقى من إنتاجه للأدب الشعبي سوى التواصل غير المحكوم بضوابط اللغة و قواعد النحو...وهكذا.

لكن الأهم في ذلك كله أن الموضوع يؤكد ما للتخطيط اللغوي من دور في مواجهة تداخل العربية الفصحى في مستوى الصوت ، وبالتالي تتموضع الفكرة وتستقر في قالب الدارجة بمنطقة تمناست خصائصها ومميزاتها وكيفية تعاملها مع الفصحى نتيجة التداخل الحاصل بينهما. ولهذا عندما ترصدنا المفهوم العام لمصطلح التداخل في اللغة بشكل عام وفي فترات زمنية مختلفة كان ما يلي:

ويذهب "إبراهيم أنيس" إلى القول بأن التداخل في الصيغ هو " ناحية صناعية بحتة لا تسوغها تلك الأمثلة التي رواها" ابن جني " فضلا عن أنه لم يبين كيف تتداخل اللغات ولا الدوافع التي قد تدعو لمثل هذا التداخل فافتراض أن لهجة من اللهجات تستعير طريقة النطق بالماضي فقط دون مضارعة أو المضارع فقط دون ماضيه أمر بعيد الإحتمال وذلك لأن الأوزان لا تستعار و إنما الذي يستعار هو الكلمات وليس هناك من مسوغ يمكن معه أن تنتقل القبيلة أو الرجل فيها من قوله نَعِمْ ينعُم بكسر العين في الماضي وفتحها في المضارع..."(1)

ما ذهب إليه "إبراهيم أنيس" من وجهة نظره أن الأوزان لا تستعار و إنما الكلمات في رأينا ليس بالصحيح على الأغلب - حسب نظرنا - ، بل بالعكس ذلك أن المتأثر بلغة غيره أو لهجته يقيس على أوزانها أولا شكل الفاعل مثلا ، المفعول به ، صيغ المبالغة ، حجم الكلمات أو الجمل...ومثال ذلك واضح في اللغة العربية الفصحى ، أو بالأحرى في اللهجات العربية القديمة التي كان علماء اللغة العربية يقيسون عليها مفرداتها .و بالتالي فإنها مع تكرار الأوزان هو الذي يعتمد كقاعدة عامة . بعد ذلك يأتي التأثير بالكلمات إذا ظهر ما يسمى بالشاذ الذي لا يقاس عليه لغياب ما يماثله من أوزان أو نتيجة أسباب أخرى.

1 - عبد الغفار حامد هلال - اللهجات العربية نشأة و تطورا - ص61.

2 - أنظر : المرجع نفسه - ص 62: وفيما روى أيضا عديد القصص التي تدل على انتقال اللسان من لهجة إلى لهجة أخرى منها التي ذكرت ومفادها أن " أبا عمرو سأل عمرو : هيهات أبا خيرة لان جلدك، والأعرابي قد ينطق بالكلمة يعتقد أن غيرها، أقوى فسأل أبا خيرة عن قولهم : إستأصل الله عرقاتهم . فنصب أبو خيرة التاء من عرقاتهم فقال له أبو عمرو في نفسه منها. ألا ترى أن أبا العباس حكى عن عمارة أنه كان يقرأ " والليل سابق النهار " بالنصب دون تنوين سابق قال أبو العباس...فكما أن العربي يتمسك أحيانا بلغته ويعتصم بها قد ينتقل هو أو غيره إلى لغة أخرى فصيحة أو غيرها أو يتأثر بتلك اللغة بما يظهر في لهجته التي يستعملها كما أوضح ذلك أبو الفتح ابن جني.

إن مسألة التأثير بين لغة وأخرى واضح فهي ليست وليدة عصر قريب منا ، بل يظهر أن الأمر أقدم من ذلك بكثير حتى في زمن عرف بفصاحته المطلقة حيث كان تنافس اللغات مع بعضها بعض أو اللهجات أيضا على أوجهها المختلفة أمرا ضروريا لا مفر منه فرضته الظروف الراهنة آنذاك في البيئة العربية. والتي كانت من جانب آخر من مقتضيات الدرس اللساني بغية التيسير أو التوحيد ربما كمطلب أساس حكمته طبيعة الحياة.

ولإبراهيم أنيس عبارات تفيد رأيه في "ابن جني" بقوله: " لعل ابن جني أراد بتداخل اللغات أنه قد يتصادف أن نجد في لهجة من اللهجات فعلا أو فعلين لا يتبعان طريقة الإشتقاق في الأفعال الأخرى وحينئذ تعلل هذه الأفعال بأن الماضي أو المضارع غريب على هذه اللهجة... تحت تأثير ظروف خاصة به." (1)

فهو يوضح لنا أن "بن جني" هنا يشير إلى قضية التداخل من خلال الأفعال التي تتداول في كل لغة من اللغات المختلفة أو لهجة ما لأنها في رأيه أول ما يتأثر بهذه الظاهرة بعيدا عن كل ما يصب في معنى تغير الحروف اللغوية للغة العربية الفصحى من حيث النطق ، فهو يشير إلى الصور الأصلية الأولى التي يبنى عليها الفعل في اللغة العربية مما يعد أساسا في معرفة صحة بقية اشتقاقات الكلمة وبالتالي أوزانها الحقيقية في الميزان الصرفي.

كما تعترف جمهرة الباحثين بمسألة التداخل ، فالدكتور "نجا" يعده من نظرات " بن جني" الثاقبة في دراسته اللغوية ومن الأمور الهامة التي عرض لها ، كونه أبان عن توليد أبواب جديدة - حسب رأيه - لا تتفق و القواعد المعروفة نتيجة لاختلاط الاستعمالات العربية الناجمة عن كثرة ارتحال العرب... وعقد فصلا خاصا من كتابه بعنوان " تداخل اللغات وتوافقها " بين فيه كيف تتداخل اللغات و أسباب ذلك ونتائجه. (2)

يقدم لنا الباحث هنا أهم الأسباب التي جعلت هذه الظاهرة تنتشر وتعرف توسعا في لهجات ولغات العرب والكيفيات التي حدث بها هذا التداخل وانعكاساته المختلفة .

1 - المرجع السابق - ص 62.

2 - المرجع نفسه - ص 63.

ويعترف "العلايلي" أيضا بالتداخل أي بتداخل اللغات حيث عقد له فصلا في كتابه " مقدمة لدرس لغة العرب " وعدّه ذا أثر في توليد عدد من المواد والمشتقات غير أنه يقول في هذا المقام: أظن من الخطأ الشك في تأثيره وعمله. كذلك أظن أن من الخطأ المبالغة في عمله إلى الحد الذي يصطنعه دارسو اللغة اليوم." (1)

واضح رأي الأستاذ "العلايلي" الصريح والواضح بالتأكيد على وجود هذه الظاهرة ، لكنه ينفي بالمقابل تأثيرها على قوة تماسك اللغة الفصحى والدليل على ذلك هو بقاؤها على خصائصها وميزاتها التي عرفت بها إلى حد الساعة، وأن الأضواء المسلطة عليها و الإهتمام المكثف بها لا فائدة ترجى منها كونها لا تأتي بنتائج مقنعة أو مفيدة تذكر.

مما يؤكد استعمال المصطلحين التركيب والتداخل بمعنى واحد في الدرس اللغوي ، "ابن جني " على سبيل المثال يستعمل مصطلح التركيب في الباب الذي أفرد له هذه المسألة (2) واستعمل مصطلح التداخل في كتابه "المحتسب " بهذا المعنى (3) ومثل ذلك "السيوطي" (4) ويطالعنا هذا أيضا في جهود المحدثين ممن أشاروا إلى هذه المسألة فقد ذهب بعض المحدثين (5) إلى القول بأن مصطلح التركيب خاص بالقدماء من النحاة، في حين يتعلق مصطلح التداخل بالمحدثين.

من خلال الوقوف على معنى المصطلحين - التركيب والتداخل - يبدو فرق طفيف بين مفهوم كل منهما إذ أن التركيب في معناه يشير إلى الجمع بين شيئين منفصلين أو أكثر ومتشابهين في مجال واحد قد يحملان الصفات نفسها وبشكل متعمد، في حين أن التداخل يعني امتزاج أشياء أو أصوات مختلفة مع بعضها بعض ، كما يكون التداخل في الشيء نفسه فيختلف التعامل معه من شخص لآخر وعادة ما يكون بصورة عفوية فرضتها ظروف معينة.

1 - المرجع السابق - ص 66.

2 - ابن جني - الخصائص - ج1- تحقيق علي النجار - دار الكتب المصرية - مصر - دون سنة - ص 377.

3 - ابن جني - المحتسب في تبیین وجوه شواذ القراءات والإفصاح عنها - ج1 - تحقيق علي النجدي و آخرون - المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية - مصر - 1386هـ - ص 452.

4 - السيوطي عبد الرحمان جلال الدين (ت 711هـ) - الإقتراح في علم أصول النحو - ط1- تحقيق وتعليق أحمد حميد قاسم - القاهرة - 1396هـ - 1976م - ص 67.

5 - من العلماء المحدثين الذين أشاروا إلى مصطلحي التركيب والتداخل " إبراهيم أنيس".

ويستعمل مصطلح التداخل في العصر الحديث للدلالة على تأثير لغة في لغة أخرى من غير فصيلتها اللغوية، ويطلق على هذا النوع من التأثير (سيمياء المقارنة) ويقصد به المقاربة بين المباني المتقاربة في اللفظ والمتحدة في المعنى في لغتين مختلفتين. ومن ذلك على سبيل المثال كلمة (FETCH) ومعناها بحث، وكلمة (فَتَش) بمعنى بحث في العربية، وكذلك كلمة (FAKE) ومعناها الزيف والتلفيق وكذلك كلمة (إفك) في العربية.(1)

هناك بعض اللغات مثل اللغتين الفرنسية والإنجليزية على وجه التحديد التي تأثرت تأثراً كبيراً جداً بالعربية الفصحى حيث اقترضت منها عدداً هائلاً من الكلمات ومحافظتها نوعاً ما على تركيبها الصوتي مما جعل الأمر يبدو واضحاً ، والتي يفهم السامع معناها بعد سماعها وإن لم يكن على معرفة جيدة باللغة الأجنبية فقط إذا دقق جيداً في جانبها الصوتي حينها سيلاحظ مشابهتها للعربية.

ورأينا في هذا كله حول مفهوم التداخل أن معناه يرتبط ارتباطاً كبيراً بمعاني التشابك والتمازج التي تحصل دون قصد بالدرجة الأولى على خلاف المفاهيم الأخرى التي شاركتها في المدلول المتعلق باللغة العربية الفصحى كالتداخل ، التبدل و التحول...لأنها تشير إلى معنى الانتقال من شيء إلى شيء آخر بقصد أو دون قصد. في حين أن التداخل ليس بالضرورة أن يدل على ذلك الانتقال بقدر ما يعد وجهاً من أوجه الالتباس ، الذي يحصل في حيز واحد منبثقاً من نواح عديدة التقت مع بعضها بعضاً لتحدث لنا مظهراً صوتياً مخالفاً تماماً قد وجد ضالته في البيئة التي أتاحت له هذا الإنتشار الواسع ، والتداول بين مختلف الأطراف والفئات على اختلاف أعمارها و تباين طرق تفكيرها.

وما يتعلق بأصوات اللغة العربية إنما هو حوصلة مظاهر صوتية شاعت في وقت ما فاندثرت أو قل مفعولها بين المتحدثين بها بفعل ظروف قاهرة جعلتهم ينشغلون بمظاهر صوتية أخرى أكثر قوة و تأثيراً ، لتزول هذه الأخيرة هي أيضاً وتحل محلها مظاهر غيرها...وهكذا تستمر الحلقة في الدوران وتصبح تراكمات ولدت باجتماعها مع بعضها بعض طرق نطق كثيرة متشعبة و متداخلة فيما بينها اختلطت على البشر و ألسنتهم لينتقوا منها ما يفي حاجاتهم ، أو يناسب الظروف الراهنة ، أو يغطي نقائص و عيوب صوتية متنوعة ويسد ثغرات هم في غنى عن عواقبها الوخيمة بسيطة كانت أم عويصة.

1- أنظر: عبد العزيز بن عبد الله - تداخل اللغات و أبعاده الإنسانية - مجلة اللسان العربي - الرياض - المجلد الرابع عشر - ج1 - دت - ص 87.

ب - مظاهر التداخل الصوتي في اللغة العربية الفصحى /

لقد شاعت في كتب التراث منذ فترة مبكرة جدا على يد الرواد الأوائل للدرس الصوتي من أمثال "الخليل وسيبويه" وكل من سار على دربهما من اللغويين والنحاة وعلماء الأداء القرآني جملة من المصطلحات التي تصب في معنى التداخل في اللغة العربية ، وإن تمت الإشارة مسبقا إلى وجود فرق بين مفهومي التداخل والتركيب عند علماء اللغة ، وأن ثمة فرق دقيق بينهما في الدلالة وقد يكون شيوعهما في الدرس الصوتي غطى هذا الفرق. "فالتداخل قد يحصل في اللغة الواحدة بين بنائين والمعنى واحد. وفي هذا المجال يقول "السيوطي": "فإن كانت اللفظتان في كلامه متساويتين في الاستعمال كثرتهما.. ويجوز أن تكون لغته في الأصل إحداهما ثم إنه استفاد الأخرى من قبيلة أخرى ، وطال بها عهده وكثر استعماله لها ، فلحقت - لطول المدة ، واتساع الاستعمال - بلغته الأولى." (1)

أشار "السيوطي" في تعريفه للتداخل إلى أهم مظهر من مظاهر حدوثه ألا وهو تمازج اللغات بعضها ببعض نتيجة اختلاط العرب بالقبائل المجاورة لهم وتأثرهم بألفاظ غيرهم واستعارتهم لها لفترة وجيزة ليتمدد الأمر إلى وقت أطول تصبح فيه الكلمات جزءا من اللغة الآخذة.

لذا فإنه ليس في إمكان الدارس الحديث للأصوات العربية إغفال مثل هذه الوجهات من النظر. ولكن الذي نسعى إليه من خلال بحثنا هو الإشارة إلى تلك التغيرات الصوتية التي تجلت بأشكال عديدة ومختلفة في العربية من خلال مصطلحات ومفاهيم كانت نتاج الدراسات القديمة الحثيثة منها: الإبدال، الإعلال، الإمالة، القلب المكاني، المخالفة، المماثلة...

¹ - السيوطي - المزهري في علوم اللغة وأنواعها - الجزء الأول - منشورات المكتبة العصرية - بيروت - تحقيق محمد جاد المولى و آخرون - دون سنة - ص 262.

1- الإبدال:

مما جاء في معنى الكلمة في المعاجم العربية بدل : أبدلت الشيء بغيره و بدله الله من الخوف أمنا. و تبديل الشيء : تغييره و إن لم تأت ببدل ، والأصل في التبديل تغيير الشيء عن حاله ، والأصل في الإبدال جعل شيء مكان شيء آخر كإبدالك من الواو تاء في تالله.(1)

هو مصدر الفعل "أبدل" بمعنى غير وكذلك بدل: بمعنى التغيير...والإبدال في الحروف يقع في الحروف الصحيحة ويختلف عن الإعلال بأن الإعلال هو وقوع التغيير في أحرف العلة فقط. وحروف الإبدال اثني عشر حرفا هي في قولهم:

" طال يوم أنجذته " ، أو "هدأت موطيا ".(2)

وهو عبارة عن إبدال صامت مكان صامت، ولا يوجد تأثير و تأثر بين الصامت المبدل والصامت المبدل منه. وقد اهتم القدماء بدراسة هذا النوع. وأفردوا له مباحث مستقلة ومن أهم هذه البحوث:

*الإبدال لابن السكيت (ت244هـ).

*الإبدال لأبي الطيب اللغوي (ت351هـ). ومن الأمثلة التي جاءت في المؤلفين السابقين:

يقال لقزه بيده...ولكزه...وهما واحد بمعنى ضربه بجمع كفه في صدره.

يقال أيضا غبن شيئا من ثوبه يغبنه غبنا وكبنه يكبنه كبنا : إذ أثناه ثم خاطه.(3)

بمعنى أنه إذا حدث الإبدال بين حرفين في كلمة واحدة وتغير فيها صوت فإن المعنى لا يتغير وأن أيا منهما استعملت فهي صحيحة حيث يمكن لإحدهما أن تنوب عن الأخرى في أي موقع كان ومثال ذلك اللفظتان مثلا: مكة/ بكة. فإنهما تعربان حسب موقعهما من السياق (مبتدأ - فاعل - مفعول به - مضاف إليه...) فترفعان وتنصبان و هكذا كباقي الكلمات العربية.

¹ - ابن منظور - لسان العرب - مادة (بدل) - دون طبعة - دار الصادر - بيروت - 2003م - ص 40.

² - أبو علي القالي - كتاب الأمالي - ج2 - دار الكتب العلمية - بيروت - دون ت - ص 176.

³ - أنظر : حازم كمال الدين - دراسة في علم الأصوات - مكتبة الآداب - القاهرة - ط1 - 1999م - ص 108.

الفصل الأول

التداخل الصوتي في اللغة العربية - ظاهرة صوتية -

وللإبدال نوع يسمى : المماثلة الصوتية: هذا النوع خاص بالإبدال الناتج عن تأثير الأصوات اللغوية بعضها ببعض عند النطق بها في الكلمات والجمل فتتغير مخارج بعض الأصوات أو صفاتها لكي تتفق في المخرج أو الصفة مع الأصوات الأخرى المحيطة بها في الكلام. فيحدث عن ذلك نوع من التوافق والإنسجام.(1)

وأشكال التأثير الصوتي نوعان هما :

*تأثير مقبل ويسمى أيضا بـ " المماثلة التقديمية". ويشمل:

- تأثير مقبل كلي في حالة اتصال مثل: "إطّلع" و أصلها "إِطْتَلَع" تأثرت التاء المرفقة بالطاء المفخمة فأبدلت التاء طاء و أدغمت في الطاء.

- تأثير مقبل كلي في حالة انفصال مثل: "إِصْطَبِر" أصلها " إِصْتَبِر" تأثرت التاء المرفقة بالصاد المفخمة قبلها فأبدلت التاء طاءً.

- تأثير مقبل جزئي في حالة اتصال مثل: " وقيظ" و أصلها " وقيذ" تأثرت الذال بالقاف فأبدلت الذال ظاءً...

*تأثير مدبر ويسمى أيضا بـ " المماثلة الرجعية" ويشمل:

- تأثير مدبر كلي في حالة اتصال.

- تأثير مدبر كلي في حالة انفصال مثل : "يَذْكُر" وأصلها " يَنْذَكُر" تأثرت التاء المهموسة بالذال المجهورة فأبدلت التاء ذالا وأدغمت في الذال التي بعدها.(2)

صور الإبدال في كلمات اللغة العربية كثيرة جدا تعود لأسباب مختلفة في مقدمتها تجنب الثقل في نطق بعض الكلمات لتقارب مخارج أصواتها مثل (اطلع التي كانت اطلّع) فالإشكال يكمن بين التاء والطاء، أو لتأثير صوت بآخر فكانت الغلبة للأقوى من حيث الصفة كما في (وقيظ و وقيذ) ولكن يبقى المعنى واحدا مهما اختلفت الحروف أو اختلف ترتيبها وهذا هو الأهم حتى لا يدخل الناس في متاهات متضاربة تجعلهم يبحثون عن بدائل أخرى قد لا تمت للغة العربية الفصحى بأي صلة.

1 - حازم كمال الدين - دراسة في علم الأصوات - ص 109.

2 - المرجع نفسه - ص 111 - 112.

2- الإدغام:

هو أكثر المصطلحات الصوتية شيوعاً بين مختلف الظواهر الصوتية يعرفه الخاص والعام على حد سواء.

ويرجع المصطلح كما جاء في لسان العرب لابن منظور إلى مادة دغم: "دغما ، دغمة ، دغمان ، دغام...و الإدغام إدخال حرف في حرف يقال : أدغمت الحرف وأدغمته...والإدغام : إدخال اللجام في أفواه الدواب . وأدغم الفرس اللجام : أدخله فيه..."(1)

إن معنى الإدغام من الناحية اللغوية في عمومها واضح أنه يشير إلى معنى الإدخال تماماً كما عرفه صاحب لسان العرب ، إذ يقصد به جعل الشيء في محتوى شيء آخر كغم الدابة واحتوائه له .

أما الإدغام كونه - مصطلحاً لغوياً - يشير "سببويه" في موضع إلى تحديد معنى الإدغام في قوله: " واعلم أن جميع ما أدغمته وهو ساكن ، يجوز لك فيه الإدغام إذا كان متحركاً ، كما تفعل ذلك في المثليين ، وحاله فيما يحسن ويقبح فيه الإدغام وما يكون فيه أحسن وما يكون فيه خفياً وهو برنته متحركاً قبل أن يخفى ، كحال المثليين." (2)

يوضح التعريف مواضع الإدغام في الألفاظ العربية الفصيحة إذ يشير إلى طبيعة الحرف الذي يجب فيها الإدغام ويحدد سبب ذلك عندما يلتقي حرفان متشابهان أحدهما ساكن والآخر متحرك كما هو الحال في الأفعال المضعفة على نحو : شَدَّ ، مَدَّ ، عَدَّ... والتي الأصل فيها شَدَّدَ ، مَدَّدَ ، عَدَّدَ... فأدخلنا الأول الساكن في الثاني المتحرك الذي يماثله ليصبح الحرف مشدداً بدل تكراره، والأمر نفسه مع كلمات أخرى نحو : سَجَّاد ، ضَبُّ ، شَجَّع...والأصل فيها سَجَّاد، ضَبُّ ، شَجَّع... وهكذا.

1 - أنظر : ابن منظور - لسان العرب - مادة (دغم) ص 212.

2 - سببويه - الكتاب سببويه - ط2 - ج4 - تحقيق وشرح عبد السلام محمد هارون - مكتبة الخانجي بالقاهرة - و دار الرفاعي بالرياض - 1982م - ص 466.

لنا أن نستنتج أن إدغام المثليين في الظواهر السياقية في اللغة العربية يجمع بين ظواهر صوتية متماثلة و متشابهة. وممن تناول ظاهرة الإدغام أيضا علماء الأصوات المحدثين. إلا أن تناولهم لم يختلف أو يخرج كثيرا عن طريقة مفهوم القدماء الذي يعني إدماج حرف مع حرف آخر يجاوره.

الإدغام ظاهرة من ظواهر المماثلة يفنى فيها الصوتان المتجاوران فناء تاما بالمماثلة الكاملة كما أسماها المحدثون (1)، إذ أن كلا من "سيبويه والمبرد" يتفقان في أن من أسباب الإدغام إلى جانب تماثل الصوتين أن أولهما ساكن فلا يترك مهلة أو استراحة لنطق المتحرك. ولهذا كان على الإدغام أن يرتفع اللسان رفعة واحدة في نطق الصوتين المتماثلين عند سيبويه. (2)

وعليه يتضح أن الصوت الأول من المتماثلين يكون ضعيف التركيب من الناحية الصوتية فلا يمكن أن تتضح صفاته إلا بالثاني وهذا ما دعى الأوائل إلى تسمية هذا بالإدغام.

و للإدغام مصطلح آخر يتفق معه في معناه - حسب رأي علماء اللغة- هو التقريب باعتباره إسكات للصوت الأول ثم قلبه إلى مثل الصوت الثاني ثم إدغامه فيما يليه من متحرك ويحدث به ضعف التكوين الصوتي للصوت الأول ليحدث الإدغام في الصوت الثاني المؤثر. فلا يمكن إدغام المتقاربين إلا بعد جعلهما متماثلين. لأن الإدغام إخراج الحرفين من مخرج دفعة واحدة... ولا يمكن إخراج المتقاربين من مخرج واحد. لأن لكل حرف مخرجا على حدة. (3)

لكن مما يظهر من التقريب أنه يتعلق بالحروف المتشابهة في المخارج والصفات حيث إذا أبدلنا حرفا مكان آخر لا يؤثر ذلك على معنى الكلمة كإبدال التاء مكان الطاء مثلا كما في كلمة اطلع التي أصبحت اطلع بعد إدغام التاء في الطاء فلا يظهر في ذلك اختلاف بين الكلمتين مطلقا. أما الإدغام فيرتبط بالحروف المتماثلة في الكلمة نفسها أي أن الحرف يكرر مرتين بها، أو في جملة بها كلمتين تبدأ الثانية بنفس الحرف الذي تنتهي به الأولى.

¹ - رشيد عبد الرحمان الأبيدي - معجم الصوتيات - ط1 - مكتبة الدكتور مروان العطية - العراق - 2007م - ص 13.

² - أنظر : أبو سعيد السيرافي - ما ذكره الكوفيون من الإدغام - تحقيق صبيح التميمي - ط1 - دار البيان العربي - جدة - 1985م - ص 29.

³ - حامد بن أحمد الشنبري - النظام الصوتي للغة العربية - مركز اللغة العربية - جامعة القاهرة - دط - 2004م - ص 107.

3 - الإمالة:

إن حرص العربي على الإنسجام الصوتي لم يقتصر على المماثلة بين الصوامت، و إنما شمل الحركات أيضا وقد عبر النحاة والقراء على التماثل بين الحركات المختلفة بمصطلحات عديدة أشهرها الإمالة." تقع الإمالة في النطق لعل أقرها اللغويون في دراساتهم الصوتية منها مثلا ما جاء في التعريف الآتي لها.(1) قال "ابن الجزري" في تعريفها: " أن تنحو بالفتحة نحو الكسرة وبالألف نحو الياء."(2)

"وهي أن تذهب بالفتحة إلى جهة الكسرة ، أو تذهب بالألف إلى جهة الياء ومن أمثلة اللغويين القدماء أن الإمالة تعني تحول الفتحة القصيرة إلى كسرة قصيرة، وتحول الفتحة الطويلة إلى كسرة طويلة.(3)

يبدو واضحا من تسمية المصطلح بالإمالة أنها تعني إحداث مقارنة بين حرفين اثنين من حيث النطق ، قد يكونان متشابهين من حيث الصفات أو المخارج ، أو مختلفين تماما في كليهما ، لكن الضرورة تقتضي جعل حرف منهما شبيها أو يكاد يكون شبيها بالآخر ومثال ذلك ما نجده أكثر شيء في قراءة القرآن الذي تعتبر فيه الإمالة مظهرا صوتيا هاما جدا لا بد من معرفته معرفة تامة و صحيحة من طرف قراء وحفاظ القرآن خصوصا دون استثناء إلى جانب قواعد صوتية قرآنية أخرى.

1 - أنظر : رشيد عبد الرحمان الأعبيدي - معجم الصوتيات - ص 32.

2 - أبو الخير محمد بن الجزري - ج2- النشر في القراءات العشر - تحقيق علي محمد الضباع - دار الفكر - دون سنة - ص 32.

3 - حازم علي كمال الدين - دراسة في علم الأصوات - ط1 - مكتبة الآداب - القاهرة - 1999م - ص 107.

والإمالة تعتبر استجابة لمتطلبات سياقية معينة... التي تؤدي في اللغة وظيفة مستقلة بذاتها وإنما هي صورة صوتية للألف أو للفتحة تخضع لظروف السياق... ويتمثل المقياس الصوتي لحركة الإمالة في درجة ارتفاع اللسان نحو أقصى الحنك فإذا كان هذا الارتفاع إلى ثلث المسافة التي يرتفع إليها اللسان وهو في أقصى حالات ارتفاعه بحيث لا يحدث نوع من الحفيف كانت الإمالة حقيقة... أما إذا كان ارتفاع اللسان إلى ثلثي المسافة التي يصل إليها اللسان وهو في أقصى حالات ارتفاعه بحيث لا يحدث عن ذلك حفيف كانت الإمالة شديدة. (1)

والإمالة كما ذكر " ابن جني " تركز على الألفات في الألفاظ العربية الفصيحة القديمة فوضح قائلا : " والذي حملهم على هذا عندي سماعهم الإمالة في ألفاتهم قبل التسمية وبعدها ، ألا تراك تقول إذا تهجيت : بِا تَا ثَا حَا... ، وقالوا بعد التسمية والنقل تَاء حَاء حَِاء... فلما رأوا الإمالة شائعة في هذه الألفات قبل النقل وبعده حكموا لذلك بأن الألفات منقلبات عن ياءات وهي حروف تهج و أصوات غير مشتقة ولا متصرفة. " (2)

ترتكز الإمالة في عمومها على حركتي الكسرة و الفتحة وحسن التصرف في تحولاتها إلى صور مختلفة من النطق حسب مكانها من الكلمة وما يجاورها من أصوات والأمر يحتاج إلى دقة عالية ومعرفة كبيرة بقواعد اللغة العربية الفصحى وخصائص حروفها.

يظهر أن سبب إمالة العرب في كلامهم رغبة منهم في التخفيف من الحمل الذي أثقلت به قواعد العربية كاهلهم ، وذلك ما يؤكد "سيبويه " بقوله: " وإنما أمالوها للكسرة التي بعدها. أرادوا أن يقربوها منها كما قربوا في الإدغام الصاد من الزاي حين قالوا صدر فجعلوها بين الزاي والصاد فقربها من الزاي والصاد التماس للخفة لأن الصاد قريبة من الدال فقربها من أشبه الحروف من موضعها بالدال... " (3)

كانت العرب تحب البساطة واليسر في الكلام أثناء التواصل مع بعضهم بعض من خلال تلك المظاهر و الظواهر الصوتية الكلامية التي أحدثوها الواحدة تلو الأخرى للتعبير عن رغبتهم في التعبير والتحرر من القواعد الثابتة التي ميزت الفصحى طوال عقود كثيرة ربما كان هذا أكبر الدوافع من وراء هذه الخطوات.

1 - أنظر : حامد بن أحمد بن سعد الشنبري - النظام الصوتي للغة العربية - ص 148.

2 - أنظر : ابن جني - سر صناعة الإعراب - تحقيق حسن هنداوي - دط - المكتبة الوقفية - دون سنة - ص 793-794.

3 - سيبويه - الكتاب - ص 117.

ويبين لنا "ابن الجزري" أيضا أسباب الإمالة التي حصرها في عشرة أسباب ترجع إلى الكسرة ... وقد تكون الكسرة والياء غير موجودتين في اللفظ ولا مقدرتين في محل الإمالة ولكنهما مما يعرض في بعض تصاريف الكلمة وقد تمال الألف أو الفتحة لأجل ألف أخرى أو فتحة أخرى ممالة..."(1)

حديثه شاهد آخر على سبب ميل العرب للإمالة التي هي عبارة عن تناسب للأصوات بعضها ببعض مما يبعدها عن التناظر والإختلاف الحاصل بين حروف اللغة العربية التي جاوزت حد الاستيعاب بشكل كبير لم يعد يمكن معالجته إلا بتلك الحلول التي استحدثوها كبديل ناجع لغلق الفجوات العميقة التي ضاقوا ذرعا بها.

¹ - أبو الخير محمد ابن الجزري - النشر في القراءات العشر - ج 2 - ص 35.

4- المخالفة:

هي من المصطلحات التي عرفت تداولاً كبيراً في كتب التراث والتي ظهرت لأسباب ما أكيد كسابقاتها من الظواهر اللغوية. " قانون المخالفة أو dissimilation أو التغاير كما تعرف أيضاً هي قوانين علم الصوتيات، وهي تسير باتجاه معاكس من قانون المماثلة الذي يهدف إلى تقريب الأصوات المتباعدة في سلسلة الكلام بتأثير صوت مجاور و لكنه تعديل عكسي المخارج والصفات والحركات وتمائلها." (1)

أما قانون المخالفة فإنه كما ذكر " فندريس " هو أن يعمل المتكلم حركة نطقية مرة واحدة بدل إعمالها مرتين... وكثيراً ما تكون نتيجة التخالف في اللغة اختفاء الصوت لا أكثر ولا أقل... وعليه فإن التخالف لا يحدث أبداً أصواتاً لغوية جديدة غير معروفة في اللغة." (2)

وإذا كانت المخالفة هي الإستغناء عن حرف من الكلمة فهذا يعني محافظتها على المعنى الأصلي لها من جهة ، و تعتبر جانباً من جوانب التيسير في النطق للكلمات التي تتطلب جهداً أكبر في النطق مما يعد إجهاداً لمخارج الحروف و إضاعة للوقت في أن واحد من جهة أخرى ، وبالتالي فالمخالفة أنجع سبيل لاختصار الجهد والوقت معاً.

من المؤكد أن علماء اللغة العربية القدامى لم يغفلوا ظاهرة المخالفة في اللغة العربية الفصحى إذ أنها أكثر لغة تحتاج لهذه الظاهرة باعتبار ما تتميز به من تعقيد في تركيب أصوات ألفاظها في نظر بعضهم ولن يجدوا أفضل من ذلك لالتماس السهولة في النطق والتيسير.

1 - إبراهيم العطية - في البحث الصوتي اللغوي عند العرب - منشورات دار الجاحظ للنشر - بغداد - د ط - 1983م ص 84.

2 - أنظر : جوزيف فندريس - اللغة - دط - تعريب عبد الحميد الدواخلي - مكتبة الأنجلو المصرية - مصر - 1950م - ص 94 - 95.

تبعاً لتجاوز الصوتين اللذين يحدث بينهما التخالف أو تباعدهما قسم علماء الأصوات المحدثون المخالفة إلى نوعين: (1)

4- 1- المتصل: وسماه مجمع اللغة العربية بمصر تغاير المجاورة CONTACT DISSIMILATION كالحاصل في : إجاص= إنجاص ، دبوس = دنبوس... وهي بعض لهجات العرب القديمة. حيث يحدث هذا النوع في الأصوات المشددة المتماثلة بأحد الأصوات المائعة السابقة الذكر.

4- 2- المنفصل: وسماه مجمع اللغة العربية بمصر تغاير المباعدة DISTANT DISSIMILATION ويحدث فيما بين صوتيه فارق كالحاصل في: إخضوضر التي أصلها إخضرضر. فأبدلت الراء الأولى واوا، وبغداد =بغدان...

لقد عرف علماء العرب هذه الظاهرة وأولوها عنايتهم ، وعزوا حدوثها إلى استئغالهم " أن يميلوا ألسنتهم عن موضع في اجتماع المثليين ثم يعيدوها إليه لما في ذلك من الكلفة على اللسان...وهذا تأكيد لرأي من يعد المخالفة من المحدثين ضرباً من الحد الأقل من الجهد...الذي نادى به فريق منهم بملاحظتهم ميل الإنسان في نطقه إلى تلمس السهل من الأصوات الصعبة في لغته إلى نظائرها التي تقلل العناء و النصب." (2)

نجد أن حتى في الكلام اليومي الذي نتكلمه باللغة العربية الفصحى والمتداخل في الإستعمالات البسيطة اللغوية المتعارف عليها والمعمول بها في حياتنا إذ نسمع بعض الكلمات التي تصب في هذا السياق دون وعي من المتحدثين غالبيتهم أن هذه الإشارة تدخل في إطار المخالفة فيندرج في حديثهم مثلاً: شباب = شبان / نسوة = نسوان / تزحلق = تزلق/ إخوة = إخوان / فتية = فتيان / تربة = تربان...وهكذا على هذا المنوال، الذي نطقت به ألسنتهم على سجيتهما العربية الفصحى دون سابق إصرار. بل إنه تسلل هكذا بتسلل اللهجة من العربية وتفرعها وانبتاقها عنها.

1 - إبراهيم العطية - في البحث الصوتي عند العرب - ص 85.

2 - المرجع نفسه - ص 85.

5 - القلب المكاني :

هي ظاهرة صوتية تعني تبادل صوتين لمكانيهما بأن يحل أحدهما محل الآخر. مثل
يئس و أيس ، ومسرح ومرسح... والقلب المكاني هو تقديم أو تأخير حرف على آخر في
الكلمة ، وعلتها عند بعض العلماء " أن تغيير ترتيب الحركات أسهل من تغييرها الموجب
للتخالف، كما أن اللغة العربية كثيرا ما احتفظت بالصورة الأصلية للكلمة مع الصورة
الجديدة..."(1)

إن لظاهرة القلب المكاني دور كبير جدا في تحديد الميزان الصرفي للمفردات في اللغة
العربية ، الأمر الذي يبرز مدى مرونتها وقابليتها للتفاعل مع الظروف المحيطة بها ، و
قدرتها على الحفاظ على معانيها الأصلية مهما تغيرت صورها من خلال ترتيب حروفها إذ
أن القلب المكاني يُبقى معاني الكلمات ثابتة لا تتغير بتغير طبيعتها الأولى.

نقصد الكلمة التي شهدت ذلك التغيير بفعل التقديم و الأخير بين حروفها. " فأحيانا يمكن
معرفة الأصلية بالرجوع إلى اللغة العربية وحدها كما هو الحال في كلمة (مرزاب
ومزrab) والواضح أن الفعل منهما زرب لا رزب. "(2)

ووضعها الباحثون ضمن إطار (الإشتقاق الكبير) وساووا بينها وبين ظاهرة القلب و هي
عندهم : أن يكون بين الكلمتين تناسب في المعنى و اتفاق في الأحرف الأصلية دون ترتيبها
مثل : حمد ومدح، كلم و لكم...(4)

عند ملاحظتنا لطبيعة القلب المكاني في الكلمة كأنا نقف على إحدى صور البلاغة العربية
ألا وهي الجناس بنوعيه الذي يعني اتفاق الكلمتين في اللفظ واختلافهما في المعنى وهذا
النوع الأول هو الجناس التام، فإذا اختلفت الكلمتين في إحدى الشروط الأربع المتمثلة في
شكل الحروف، عدد الحروف ، حركات الحروف و ترتيب الحروف أصبح جناسا ناقصا،
في حين أن ظاهرة القلب المكاني هي اتفاق في الحروف و اختلاف في الترتيب فقط.

1 - أنظر: صلاح الدين سعيد حسين - التغيرات الصوتية في التركيب اللغوي العربي - بحث معد لنيل درجة الدكتوراه -
جامعة تشرين - كلية الآداب والعلوم الإنسانية - سوريا - 2009م - ص 35.

2 - المرجع نفسه - ص 36.

3 - المرجع نفسه - ص 36.

4 - المرجع نفسه - ص 36.

يعد الجانب الدلالي معياراً أساساً في تحديد كلمات القلب المكاني فكلمات القلب المكاني تتفق في المعنى وهناك كلمات تتفق في الأصوات وتختلف في ترتيب تلك الأصوات كما تختلف في المعنى. (1) وهذه الكلمات لا تعتبر أو تدخل في دائرة القلب المكاني مثل: الشمع و المشع ، العرس و السعر ، اللعس و السلع... فالشمع: موم العسل... والشمع ضرب من الأكل كأكل القثاء. والعرس: امرأة الرجل. والسعر: سعر السوق الذي تقوم عليه بالثمن. اللعس: سواد يعلو الشفة للمرأة البيضاء... والسلع أيضاً نبات يقال أنه سم... (2)

ما منع إدراج هذه الكلمات ضمن القلب المكاني صحيح أنه اختلاف في ترتيب حروف الكلمة إلا أن الكلمتين بعد القلب تحافظان على المعنى نفسه، وذلك عكس ما رأيناه في الأمثلة التي مرت سابقاً إذ نلاحظ اختلافاً بينا في معانيها الأصلية ، فمعنى الفعل (آيس بعد القلب هو معنى الفعل يئس والذي يعني فقدان الأمل وانقطاع الرجاء) فهذا التغيير في نظام الكلمة لا يعني بالضرورة تغير معناها مما يدل على أن اللغة العربية دون غيرها من اللغات طبيعة فريدة بخصائصها لا تتشارك معها لغة أخرى في ذلك.

1 - حازم علي كمال الدين - دراسة في علم الأصوات - ص 119-120.

2 - المرجع نفسه - ص 120.

6- المضارعة :

ذكر "سيبويه" مصطلح المضارعة في قوله : " هذا باب الحرف الذي يضارع به حرف في موضعه، والحرف الذي يضارع به ذلك الحرف ليس من موضعه." (1)

فأما الذي يضارع به الحرف الذي من مخرجه فالصاد الساكنة إذا كانت بعدها الذال على نحو : مصدر ، أصدر ، والتصدير لأنهما قد صارتا في كلمة واحدة كما صارت مع التاء في كلمة واحدة في افتعل فلم تدغم الصاد في التاء ... فضارعوا به أشبه الحروف بالذال من موضعه. (2)

والمضارعة عند "سيبويه" تتضمن عملين هما التقريب و الإبدال على نحو ما جاء به في قوله : " و إنما دعاهم إلى أن يقربوها ويبدلوها أن يكون عملهم من وجه واحد، وليستعملوا ألسنتهم في ضرب واحد، إذ لم يصلوا إلى الإدغام ، ولم يجسروا على إبدال الدال صادًا." (3)

الواضح من مصطلح التقريب الذي هو أحد شرطي المضارعة أو المشابهة كما هو وارد في معناها في كلام العرب بين شيئين اثنين، إنما سمي الفعل المضارع مضارعا لأنه يضارع الاسم أو يشابهه في حكم الإعراب خاصة، هو تقارب الحرفين المضارعين في الصفة والمخرج حتى لا يحدث قبح في الكلام فتستنفر الأذن سماع كلمات بأصوات لم ترد في لغة العرب وبعيدة عن خصائص بناء المفردات العربية الفصيحة من حيث أصواتها حتى لا تصنف إلى جانب الألفاظ الأعجمية والتفرقة بينهما. أما الإبدال فهو إبدال حرف مكان آخر في الكلمة يشبهه في الصفة أو المخرج دون الخروج عن قاعدة الإبدال حتى لا يفتح المجال أمام كل محاولة غير مناسبة للتغيير .

1 - سيبويه - الكتاب - ج 4 - ص 477.

2 - المرجع نفسه - ص 477.

3 - المرجع نفسه - ص 478.

وسمنا العرب الفصحاء يجعلونه زايًا خالصة ، كما جعلوا الإطباق ذاهبا في الإدغام .
وذلك قولك في التصدير : التزدير ، وفي الفصد : الفزد ، وفي أصدرت ، أزدت." (1)

ومثال ذلك كثيرا ما نسمعه في اللغة العربية الفصيحة واللهجة العامية من أفواه المتكلمين بها في مجتمعنا الجزائري فهم يقومون كثيرا باستبدال حروف مكان أخرى متقاربة في المخارج وعلى سبيل المثال ينطقون الحاء في اللفظة العامية (شَحَال؟) والتي تعني كم؟ عينا لتصبح (شُعَال) ، وكذلك تتحول هَبَط إلى حَبَط ، شَجَعَ إلى سَجَعَ ، غسل إلى خسل ومعهذ إلى مَحَد بإغفال حرف الهاء ونطق الحاء مشددة مما يدل على أنها عوضت حرفين اثنين... وغيرها من الكلمات كثير جدا ، لا ندري ماهو السبب ؟ أهو تسهيل لطريقة النطق أم أن تقارب مخارج الحروف المستبدلة أدى دون سابق إنذار أو تخطيط مسبق إلى اعتماد هذا النطق بعد التغيير ، أم أنها تقليد لما سمع دون شعور ولكن الواضح أن المشكلة تتفق تماما مع ما جاء في شرح أسباب أو مظاهر المضارعة عند العرب منذ أمد ليس بقريب.

ومن التغيرات الصوتية التي تعرفها اللغة العربية الفصحى والتي أكدت تميزها وتفرداها بصفاتها دون سواها من اللغات والدرجة ضمن مصطلح التداخل الصوتي في العربية كثيرة ومتنوعة وفقا لما كشف عنه البحث و أملاه منها أيضا : ظاهرة المناسبة، الروم ، الإشمام ، الإعلال ، المماثلة ، التقريب ، التشابه... كل حسب أنواعه و أقسامه.

¹ - سيبويه - الكتاب - ص 478.

ج - مظاهر التداخل الصوتي في اللهجات العربية /

ليس من أبعث على نفور العربي من أخيه العربي من أن يسمعه ينطق الكلام نطقا يخالف نطقه لدواعي متعددة منها غياب التواصل مع بعضهم بعض بفعل ذلك الاختلاف الجوهري البين بين اللهجات. فإن تم لنا التقريب بين نواحي النطق في اللهجات العربية حينها يكون الإتصال في أوجه. وعليه تكاد تنحصر مواطن الاختلاف الصوتي بين لهجات العرب في الأمور الآتية :

اختلاف في نطق بعض الأصوات الساكنة كالكاف التي هي في النطق الصحيح صوت شديد. ونسمعها في بعض اللهجات العربية الحديثة صوتا أميل إلى الرخاوة (تش) كما هو الحال في بعض لهجات فلسطين و سوريا.(1)

وكالقاف التي نسمعها الآن في أفواه المجيدين للقراءات صوتا مهموسا رغم أن القدماء من علماء مخارج الحروف وصفوها لنا على أنها مجهورة . وكالطاء التي ينطق بها في معظم اللهجات الحديثة صوتا مهموسا وقد صنفها القدماء بين الأصوات المجهورة. وكالضاد التي نقرأ وصفها في كتب القدماء ثم لا نكاد نجد لها في الأفواه ذكرا إلا ربما في نطق بعض العراقيين لها و بعض البلاد العربية الأخرى. وكالجيم التي اختلفت بين اللهجات الحديثة فطورا شديدة كما في النطق المصري، و أخرى أميل إلى الرخاوة كما هو الحال في النطق الفصيح المروي في كتب القدماء ، وثالثة كثيرة الرخاوة كتلك الجيم التي كثر تعطيشها كما في نطق المغاربة و بعض السوريين . وكالأصوات اللغوية (الذال ، التاء الضاء) التي يميل حتى المتعلمين منا إلى النطق بها زايًا وسينا و زايًا مفخمة على الترتيب.(2)

تصرفت اللهجات العربية الكثيرة والمتنوعة في أصوات اللغة العربية الفصحى تصرفا كبيرا جدا غير في صفاتها و أهمل مخارجها لأسباب عدة فصار للحرف الواحد أوجه مختلفة وخصوصا هذه الأصوات ؛ القاف ، الجيم ، الطاء التي أخذت كيفيات نطق أخرى فنطقت القاف ألفا وغينا وكافا ، ونطقت الجيم ياء وقاء ، و أصبحت الطاء تاء في حديث بعضهم بأسلوب الدلال فينادى الولد المُسمّى طارق بتارق فتتطق الطاء مرققة مختلفة قليلا عن حرف التاء و هكذا.

1 - أنظر : إبراهيم أنيس - في اللهجات العربية - ص 26.

2 - المرجع نفسه - ص 26.

رغم أن القدماء قد وصفوا لنا الأصوات الساكنة وصفا دقيقا من ناحية المخرج والصفة، ورغم تواتر القراءة القرآنية عن طريق التلقي والمشاهدة جيلا بعد جيل... إلا أن بعض الأصوات في قراءتنا تطورت وأصبح بعضها مهموسا بعد أن كان مجهورا. كما أصبح بعضها شديدا بعد أن كان رخوا و اختلف هذا التطور بين بيئة أخرى من البيئات العربية، حتى أصبح الطفل العراقي الآن يخلط في إملاءه بين الضاد والظاء. كما يخلط الطفل في بعض مناطق السودان بين القاف والغين...(1)

من مظاهر اختلاف اللهجات العربية اختلاف في بعض أصوات اللين العربية التي اتخذت أشكالا كثيرة حتى صارت إلى ما نشهده الآن من فروق خطيرة بين البلاد العربية... وكأن القدماء قد ظنوا لخلو الرسم العربي من هذه الأصوات في غالب الأحيان. أنها ليست عنصرا من عناصر اللغة في حين أنها لكثرة شيوعها في الكلام والنطق أوضح و أبرز في تكوين الفروق بين اللهجات.(2)

نجد في لهجات العرب القديمة و طرائق كلامهم بعض المظاهر الصوتية مثل :

***العننة:** هي قلب الهمزة المبدوء بها في أول الكلمة عينا وهذه الصفة معروفة عند قيس وتميم فيقولون في : أُنْكَ عُنْكَ ، وفي أذن عذن على حين أن بقية العرب ينطقون الهمزة دون تغيير في أوائل الكلمات.

***الكشكشة:** وهي في قبائل ربيعة و مضر، يجعلون بعد كاف الخطاب في المؤنث شيئا فيقولون : رأيتكش وبكش و عليكش فمنهم من تثبتها حالة الوقف فقط وهو الأشهر ومنهم من يثبتها في الوصل - أيضا - ومنهم من يجعلها مكان ويكسرهما في الوصل ويسكنها الوقف فيقول : منش و عlish...وغيرهم يبقيا كافا.

***العججة:** في لغة قضاة يجعلون الياء المشددة جيما فيقولون في تميمي تميمج...(3)

1 - أنظر: إبراهيم أنيس - في اللهجات العربية - ص 26.

2 - المرجع نفسه - ص 27.

3 - عبد الغفار حامد هلال - اللهجات العربية نشأة وتطورا - ص 34.

وقد تكون الطريقة متعلقة ببنية الكلمة و نسجها . فاسم المفعول إذا صيغ من الفعل الثلاثي الأجوف فإن عينه تُعل عند الحجازيين سواء أكان واويا أو يائيا مثل: مقول ومدين ولكن التميميين يعلون الواوي ويتممون اليائي فيقولون : مبيوع ومديون ، وعلى طريقة بني تميم تجري اللهجات العامية في مصر و بعض جهات اليمن ونجد.(1)

ذكر " سيبويه" الكشكشة أيضا ومثل لها في كتابه الذي ضم فيه الحديث عن اللهجات العربية ومثل لها ونسبها لتميم و أسد وعلل استعمال العرب تلك اللغة . ولم يصفها بالقبح أو الضعف... فذكر إبدال الكاف شينا مع المؤنث أيضا وعلل ذلك ولم يسم اللهجة إلى أحد و في موضع آخر . ذكر إبدال الجيم من الياء المشددة في الوقف نحو : عالج و عوفج يريدون علي و عوفي... ولم يذكر لغة من هي.(2)

لا تزال هذه اللهجة تسمع إلى حد الساعة في بعض الدول العربية خاصة بلاد الشام التي تحوي القبائل العربية المحافظة على تقاليدها و أصلتها القديمة بما فيها هذه اللهجات السائدة التي تجسد حضارتها العريقة و ارتباطها الوثيق وهذا التعلق الكبير بمصدرها.

*** التلتلة :**

والتلتلة عبارة عن كسر حرف المضارعة وهي تنسب إلى قبيلة بهراء. ويعزوها صاحب اللسان إلى عديد من القبائل العربية يقول ابن منظور: " وتلتلة بهراء كسرهم تاء تفعلون يقولون تعلمون و يشهدون ونحوه ، والله أعلم ."(3)

تختص ظاهرة التلتلة في اللهجات العربية بزمان المضارعة للأفعال حيث تتحول فتحة التاء إلى كسرة وفي ما مثل له " ابن منظور " في تعريفه لها تنطق هذه الأفعال : يَقُولُونَ ، تَعْلَمُونَ ، يَشْهَدُونَ ، على هذا النحو ، يَقُولُونَ ، تَعْلَمُونَ ، يَشْهَدُونَ وغيرها من الأفعال.

1 - أنظر : عبد الغفار حامد هلال - المرجع السابق - 34.

2 - حسام سعيد النعيمي - الدراسات اللهجية والصوتية عند ابن جني - دار الرشيد للنشر - العراق - 1980م - ص 57.

3 - ابن منظور : لسان العرب - مادة (تَلَل) - ص 234.

تعد ظاهرة التثنية من الظواهر السامية القديمة حيث توجد في اللغة العبرية والسريانية و الحبشية، ولعل كسر حرف المضارعة كان هو الأصل في العربية الفصحى قديما - أيضا - بدليل شيوع الكسر في اللهجات العربية... واستمر شيوع هذا الكسر في اللهجات العربية الحديثة.(1)

للعرب قواعد خاصة في اشتقاق الأوصاف من الأفعال ، فمن الثلاثي المفتوح العين تأتي على فاعل ومن المضموم العين تأتي على فعيل ، وما جاء مخالفا لذلك عده الصرفيون شاذا ولكن "ابن جني" يخرج بعضه على أنه من باب تداخل اللغات فقولهم : "شعر فهو شاعر، وحمض فهو حامض وخثر فهو خائر و طهر فهو طاهر بضم العين في جميع الأفعال... وهو في أنفسهم وعلى بال من تصورهم يدل على ذلك تكسيرهم لشاعر على شعراء لما كان فاعل واقعا موقع فعيل تكسيروه ليكون ذلك إمارة ودليلا على إرادته وأنه مغن عنه وبدل منه."(2)

إضافة إلى هذا قد عد "ابن جني" من التداخل أيضا قراءة " والسَّمَاءِ ذَاتِ الْحُبُكِ " سورة الذاريات الآية 7. فيقول لعل الذي قرأ به تداخلت عليه القراءتان بالكسر والضم فكأنه كسر الحاء يريد الحُبُكِ بكسر الحاء والباء وأدركه ضم الباء على صورة الحُبُكِ بضمها فجمع بين أول اللفظة على هذه القراءة وبين آخرها على القراءة الأخرى."(3)

إذاً يرى "ابن جني" أن اختلاف الحركات أيضا في حد ذاته تداخل صوتي باعتبار طبيعة اللسان ووضعيته أثناء النطق بتلك الحركات التي تشكل الجزء الأهم المؤدي إلى بروز المعنى الحقيقي للكلمة في السياق دائما أي أنها تمثل عنصر الدلالة الذي يقيم عملية التواصل.

من الظواهر الصوتية أيضا ما يوجد عند قبيلة بني تميم التي تجعل بدل الهمزة العين حيث قال شاعرهم :

إِنَّ الْفُؤَادَ عَلَى الذَّلْفَاءِ قَدْ كَمَدَا **** وَحُبُّهَا مُوشِكٌ عَنْ يَصَدَحَ الْكَيْدَا

1 - حسام البهناوي - التراث اللغوي العربي وعلم اللغة الحديث - ط1 - مكتبة الثقافة الدينية - القاهرة - 2004م - ص 39.

2 - عبد الغفار حامد هلال - اللهجات العربية نشأة وتطورا - ص 34.

3 - المرجع نفسه - ص 60.

وقبيلة ربيعة تجعل مكان الفاء كذا شينا قال الشاعر :

تَضَحُّكَ مِنِّي أُنْ رَأْتَنِي أُحْتَرَشُ **** وَلَوْ حَرَشْتُ لَكَشَفْتُ عَنْ حَرَشِي (1)

في البيت الأول فإن الموضع الذي به تغيير يقع في كلمة " عن " والأصل أن الشاعر يقصد بها " أن " فنلاحظ قلب الهمزة عينا. أما البيت الثاني فيقع التغيير في كل من الكلمات التالية : " أحترش - حرشت - حرشي " إذ تحولت الفاء إلى شين والشاعر يقصد القول " أحترف - حرفت - حرفي " .

ومن ذلك أيضا ذكر " أبو علي القالي " إبدال الياء جيما في لغة فقيم على لسان الأصمعي مما سمعه عن خلف الأحمر فقال : أنشدني رجل من البادية يقول :

عَمِّي عُوَيْفٌ وَ أَبُو عَلِجٍ الْمُطْعَمَانِ اللَّحْمَ بِالْعَشِجِ

وبالغداة كَسَرُ الْبَرْنَجِ يُنْزَعُ بِالوَدِّ وَالصَّيْجِ (2)

أراد بالعشج العشي ، وبالصيصج الصيصية وهي قرن البقر....

ومنه أيضا هيمان بن قحافة السعدي:

يَطِيرُ عَنْهَا الْوَبْرُ الصَّهَابِجَا

الصهابجا : أراد بها الصهابي من الصهبة ، وقال يعقوب بن السكيت : بعض العرب إذا شدد الياء جعلها جيما، وأنشد عن ابن الأعرابي :

كَأَنَّ فِي أَدْنَابِهِنَّ الشُّوْلُ مِنْ عَبَسِ الصَّيْفِ قُرُونِ الْإِجْلِ

أراد بالإجل الأيل. (3)

1 - حسام سعيد النعيمي - الدراسات اللهجية والصوتية عند ابن جني - ص 57.

2 - أبو علي القالي - كتاب الأمالي - ج 2 - ص 77.

3 - المرجع نفسه - ص 78.

نلاحظ نفور صاحب القول من هذه الضرورة الصوتية التي استحدثها أصحابها لقبح النطق بها وبعد الأصوات من حيث مخارجها وصفاتها من بعضها بعض زد على ذلك ثقلها على اللسان.

و مما عرفته اللهجات العربية من تغيرات صوتية أيضا ما ينسبه الرواة لقبائل سعد بن بكر و هذيل و الأزد و الأنصار أنهم كانوا يقلبون العين في " أعطى " إلى نون فيقولون " أنطى ". وقد قرئ " إِنَّا أَنْطَيْنَاكَ الْكَوْثَرَ " سورة الكوثر الآية 1 . وسمى الرواة هذه الظاهرة بالإستنطاء.(1)

لم يكن الأمر مقصورا على الفعل " أعطى " فحسب. بل إن الأمر متعلق بنطق كل "عين" سواء وليها طاء أم صوت آخر. فلعل من القبائل من كانوا ينطقون بهذا الصوت بصفة خاصة نطقا أنفيا . وذلك بأن يجعلوا مجرى النفس معه من الفم والأنف معا. فتسمع العين ممتزجة بصوت النون وليس في الحقيقة نونا. بل هي عين أنفمية. (2)

كما روي عنهم أنهم كانوا يقلبون كل ياء بعد فتحة ألفا فيقولون على نحو قول الشاعر:
" طاروا علاهن فطر علاها ". أي عليهن وعليها. "(3)

على هذا تعد هذه اللهجة من أحدث مظاهر اللهجات العربية. إذ يظهر أن الأصل في المثنى التزام الياء، ثم تطور هذا إلى الإمالة التي لا تزال شائعة في معظم اللهجات العربية الحديثة و أخيرا صار المثنى بالألف.(4)

1 - إبراهيم أنيس - في اللهجات العربية - ص 122- 123.

2 - المرجع نفسه - ص 124.

3 - المرجع نفسه - ص 125.

4 - أنظر : ابن جني - الخصائص - تحقيق محمد علي النجار - دار الكتب المصرية - مصر - ط - دون ت - ج 1 - ص 76 = و من كلام ابن جني نفسه من بعض القصص التي تقوم حجة عليه لا له فمن ذلك ما روى عن أبي حاتم قال: قرأ على أعرابي بالحرم (طيبي لَهُمْ وَحُسْنٌ مَابٌ) فقلت : طوبى فقال : طيبي قلت : طوبى قال : طيبي فلما اشتد علي قلت: طو طو فقال : طي طي.

كثيرة هي تلك الظواهر الصوتية التي تولدت في اللهجات العربية القديمة ومتنوعة تكاد لا تحصر ، خاصة إلى جانب العدد الكبير للقبائل العربية التي سادت و بالتالي تنوع كبير في لغاتها أو بالأحرى لهجاتها التي كانت موضع اهتمام كبير جدا من طرف الدارسين لها . وذلك الجدل الكبير الذي أحدثته من جوانب عدة تتعلق بها لا تزال إلى يومنا هذا تثير فضول الذين يحبون الغوص في بحر اللغة العربية الفصحى .

***التحول عن الصامت :** من أمثلة هذا التحول قلب الجيم ياء من نحو قولهم...أزيم في أزجم وصهري في صهريج. وشيرة في شجرة ولقد ذهب بعض اللغويين إلى قولهم إن ذلك لغة معروفة في تميم.(1)

إن ظاهرة الإبدال بين أنصاف المد، أو أصوات المد المحضة والصوامت واضحة جدا في طائفة من الأمثلة العربية ولقد أورد أبو الطيب اللغوي طائفة منها في كتابه " الإبدال " من ذلك قولهم: قفر يقفر وقفا ويقفوّ، وموث ومرث. قولهم : مزكورة وموكورة. وزَعق و وَعَق وقولهم : تَعَكْظ وتوكْظ وقولهم : أَجْلُحْ و أَجْلَى. وضَبْج وضَبو. وقولهم الذرى والورى...إلخ(2)

***الفحفة :** هي إحدى الظواهر الصوتية إلى جانب ما ذكرناه أنفا و المتعلقة باللهجات العربية ، والمقصود بها " قلب الحاء عينا مطلقا . سواء كانت حاء حتى أو غيرها في لغة هذيل يجعلون الحاء عينا فيقولون في مثل : حلت الحياة لكل عي. وعلى لغتهم قرأ بن مسعود (عَتَى حِينَ) في قوله تعالى : (حَتَّى حِينَ).ولولا بحة في الحاء لكانت عينا."(3)

وكان تسمية هذه الظاهرة اللهجية بهذا الاسم - الفحفة - إنما نسبة أو مشابهة بصوت الأفعى (الفحيح) لسماع صوت الحاء في صوتها ، لكن الفحفة هي بقلب الحاء عينا في بعض الألفاظ التي سمعت عن العرب وكانت قبيلة هذيل من نسبت لها هذه الظاهرة اللغوية.

1 - غالب فاضل المطلبي - في الأصوات اللغوية - دراسة في أصوات المد العربية - منشورات وزارة الثقافة والإعلام - العراق - د ط - 1984م - ص 208.

2 - المرجع نفسه - ص 208.

3 - أنظر : ابن جني - سر صناعة الإعراب - ص 241.

وفي مواضع أخرى في لهجات العرب أبدلت العين همزة و مثال ذلك قولهم : "في أعديته : أديته ثم أبدل الهمزة ألفا لسكونها وانفتاح ما قبلها واجتماعها مع الهمزة التي قبلها فصارت أديته." (1)

في اللهجة الدارجة عند كبار السن أو الأميين الذين لم يدرسوا في المدارس ينطقون بهذه الظاهرة الممثلة باستبدال الألف بحرف العين وذلك في كلمة " القرآن " حيث ينطقونها " القرعان " و نطقها شائع جدا عند هذه الفئات كثيرا.

ومن غرائب العرب إبدال الغين خاء فقالوا خطر بيده يخطر، وخطر يخطر ، فالغين كأنها بدل من الخاء لكثرة الخاء وقلة الغين، وقد يجوز أن يكونا أصليين إلا أن أحدهما أقل استعمالا من صاحبه." (2)

ما يجدر الإشارة إليه أننا نلاحظ في اللهجات العربية الحديثة أن شخصين من أبناء لهجتين مختلفتين قد يلتقيان ويصادق أحدهما الآخر زمانا طويلا وكل منهما يلتزم بلهجته قدر ما أمكنه أو قدر المستطاع على ما نشأ عليه. فإذا ما تأثر أحدهما بالآخر و أخذ يقلده في لهجته لأي سبب من الأسباب تكلم كل واحد منهما بعد ممارسة طويلة ومخالطة مستمرة لهجة واحدة مشتركة فيما بينهما، فهي عبارة عن مزيج بين اللهجتين أو اندماج جزئي بينهما إن لم يكن كلياً - إن صح القول - لتنشأ منهما بعد ذلك لهجة ثالثة هي المتواضع عليها للتواصل بين أفراد المجتمع أو بين الرجلين كأقرب مثال.

وعليه فإن اللغة العربية ليست نسيج وحدها بين لغات البشر ، بل هي واحدة من اللغات التي كان يجري عليها من القوانين اللغوية ما يجري على أية لغة أخرى ، فيؤدي إلى انتقالها وتطورها وتغيرها ، ولكن كما أن القواعد لا تكاد تخلو من استثناء فإننا ينبغي أن ننصبه إلى الواقع التاريخي الذي أحاط باللغة العربية الفصحى ، فجعلها كشجرة تضرب بجذورها في أعماقه فبقيت ثابتة لا تبرح مكانها وهذا الأمر جعل العلماء يتناولونها بحذر لصلتها بأعظم كتاب في الوجود ألا و هو القرآن الكريم.(3)

1 - عبد الغفار حامد هلال - المرجع السابق - ص 173.

2 - ابن جني - سر صناعة الإعراب - ص 241.

3 - أنظر : حسام سعيد النعيمي - أصوات اللغة العربية بين الثبات و التحول - سلسلة بيت الحكمة - بغداد - دون ت - ص 14-13.

ولكن هذه الشهادة لم تمنعها من أن : " تشهد هي الأخرى تحولا صوتيا فضحه ما آل إليه الكثير من أصواتها في لهجات الناس اليوم بعدما وصل إلينا وصف دقيق لأصواتها وبها سلكت سبيلين ؛ أحدهما على ألسن الناس في بيوتها و أسواقها و متاجرها فتداخلت مع غيرها من أصوات اللغات المختلطة بها وابتعدت تدريجيا عن اللغة العربية اليوم بعدما درسها العلماء واستنبطوا قواعدها ، أما السبيل الثاني ما كان على ألسن الأدباء والشعراء والعلماء حيث تطورت في إطار ثبات أصولها ، فصار العربي و غير العربي يجتهد في أن يطوع لسانه للنطق الصحيح المتفق بعدما حفظت لنا علوم أربعة عشر قرنا من الزمن . " (1)

فمما ذكره علماء اللغة العربية بعدما وقفوا على مسيرة تطورها في فترات معينة خصوصا ما جاء به " ابن جني " الذي تناول في كتابه (الخصائص) مسألة تداخل الأصول العربية منها الثلاثية و الرباعية والخماسية ومن ذلك قوله : "... ليس بالبعيد أن تكون التاء في كلمة مرمريت بدلا من السين ، كما أبدلت منها في ست ، وفيما أنشده أبو زيد من قول الشاعر :

يَا قَاتِلَ اللَّهِ بَنِي السَّعْلَاتِ **** عَمُرُو بُنْ يَرْبُوعَ شِرَارَ النَّاتِ

غَيْرَ أَغْفَاءٍ وَلَا أَكْيَاتِ

فأبدل السين تاء. فإننا نجد للمرمريت أصلا يحتازه إليه وهو المرت ، قيل : هذا هو الذي دعانا إلى أن قلنا : أنه قد يجوز أن تكون التاء في مرمريت بدلا من سين مرمريس ... " (2)

وعلى ما هو ظاهر للعيان أيضا من الاختلافات الصوتية التي عرفتتها معظم الأصوات العربية خاصة (التاء - الذال - الظاء - الجيم - القاف - الكاف الضاد...) في البلاد العربية فصل " كمال بشر " في هذا التطور الكبير الحاصل للأصوات ، ومما ذكره مثلا عن حرف القاف : " ... نلاحظها الآن في اللسان الدارج في الحواضر المصرية ونحوها من بعض العواصم العربية و نعني بهذه الصورة نطق القاف همزة خالصة... ويروى أنه كان لهذا النطق همزة وجود في القديم... " (3)

1 - حسام سعيد النعيمي - أصول اللغة العربية بين الثبات والتحول - ص 13 - 14.

2 - أبو الفتح عثمان ابن جني - الخصائص - دط - ج 2 - ص 53.

3 - كمال بشر - علم الأصوات - دار غريب للطباعة والنشر والتوزيع - القاهرة - دط - 2000م - ص 283-284

و من أمثلة ذلك زُهَاق مائة و زُهَاء مائة أي قريب من المائة ، والقفز أو الأفز أي الوثب... و إنا لنلاحظ هذه الأيام نطق القاف غينا في الألسنة الدارجة في بعض مناطق السودان و العراق ، ولكن هذا النطق - على ما نفهم - مقصور على تلك الكلمات الفصيحة التي دخلت عاميات هذا من نحو : الإستقلال الإستغلال - يقدر يغدر - القاهرة الغاهرة ويقال أن لهذه الصورة النطقية للقاف أصلا في القديم بدليل ورود أمثلة في التراث اللفظي يقع فيها بين القاف والغين من نحو: غلام أقلف و أغلف ، أي لم يختن ، وقلقل الأرض وغلغل ، أي ذهب في الأرض..."(1)

ولن نذهب ونبقى في الجنوب الجزائري تحديدا في ولاية غرداية نلاحظ نطقهم حرف القاف بتلك الصورة التي أشار إليها كمال بشر ، حيث يستبدلون القاف بحرف الغين أثناء تعاملهم بلهجتهم في حياتهم اليومية ، وقد يكون ذلك إمتدادا للتطور اللغوي للغة العربية منذ القديم كما أشار إليه كمال بشر .

إلى جانب التطور الصوتي لصوت القاف إشارة إلى التغيرات التي عرفها صوت الظاء من ذاك قوله : " وينطق هذا الصوت خطأ أحيانا ، كما لو كان زايا مفخمة أي بتغيير في موضع النطق به وهذا هو النطق السائد في الألسنة العامية الدارجة في مصر و غيرها . ولكننا نلاحظ مع ذلك أن بعض العرب ينطقون هذا الصوت في لهجاتهم العامية نطقا صحيحا مقبولا ، كما هو الحال مثلا في نطق العراقيين والكويتيين بوجه خاص...ويميل بعضهم و بخاصة النساء إلى ترقيق صوت الظاء فينطقونه ذالا أو زايا ، وهو خطأ صوتي ودلالي معا..."(2)

إن النطق بحرف الظاء في الكلمات التي تحتويها بأصوات أخرى يؤدي إلى اختلاف معاني تلك الكلمات ، فحينما ينطق المتحدث الصوت الظاء خاطئة لن يفهمه كل من يسمعه بنفس المعنى الذي يقصده باختلاف مفاهيمهم ومدى وعيهم بتلك التغيرات الصوتية من لهجة إلى أخرى أو بمعاني الألفاظ المسموعة ، و اختلاف مناطقهم أيضا.

1 - كمال بشر - المرجع السابق - ص 283-284.

2 - المرجع نفسه - ص 299-300.

ويواصل في معرض قوله عن الظاء : "أما التبادل بين الظاء والضاد و الخلط بينهما في النطق فله واقع مؤكد في القديم وله آثار باقية في الحديث كذلك...على ألسنة العامة في مصر كما في نحو (ضهر و ظهر)...وقد أشرنا فيما سبق إلى رأي علماء العربية من أن الظاء خاص بلغة العرب ، وليس صوت الضاد ، بوصفهم ، و إذا صحت المقولة " العربية لغة الضاد" فإنما تنطبق على الضاد التي ينطقها المصريون ونحوهم الآن." (1)

الأمثلة كثيرة جدا ومتنوعة فيما يتعلق بالإختلافات الصوتية والتداخلات والتطورات الحاصلة بها ولا يمكن حصرها في مجال ضيق ومحدود، إذ أن اللغة وجودها قديم جدا مر عليه من الزمن ما مر على امتداد عصور وعصور تراكمت من خلالها الصور الكثيرة والأشكال المتباينة لمختلف الأصوات ، يحتاج لمعرفة ودراستها والتنقيب والبحث عنها وقتا كبير جدا وجهودا حثيثة وسبل قديمة و قوية باستطاعتها بلوغ المرام وتحقيقه على أكمل وجه.

الفصل الثاني

أسباب التداخل الصوتي في اللغات و اللهجة

1 - أسباب التداخل الصوتي بين اللغة العربية و اللهجة العامية /

حينما مدح علماء العربية لغة قريش أنها أشرف لغات الأرض قاطبة إنما كان ذلك من باب بيان فضائل العربية ، ما أفسد القول السائد بأن كثرة التفاعلات بين العربية وغيرها من اللغات الأجنبية هي من أنضجت اللغة العربية نضجا عظيما ، وأكسبها مرونة كافية و خصوبة أفرغتها في لهجة قريش ، هذه الأخيرة التي اختيرت لتكون وعاء لوعي عظيم في عصره - عليه صلوات الله وسلامه - وأداة صالحة للتعبير الفكري العميق حتى عصر ابن خلدون مما أهلها أن تقهر بعض ما جاورها من اللغات تماما كما قهرت اللغة اللاتينية عديدا من لغات أوروبا التي فتحها الرومان حتى نهاية العصور الوسطى وظهور القوميات الحديثة في بداية نحو (1400م). (1)

ربما كان الأمر يتشابه كثيرا مع ما يحدث في عصرنا الحالي ، فإن كانت الفصحى في أوج هيبتها . وهذا ما حدث معها ولم يؤثر الأمر في فرادتها ، فكيف لنا أن نفسر ما اعتراها من ظواهر في زمننا الحديث بعد موجة التطور السريع التي أصابت العالم فغيرت بذلك طرق التواصل وعلى رأسها لغتنا العربية الفصحى التي امتزج فيها الحابل بالنابل، فصرنا لا ندرك فيها الخطأ من الصواب ولا العلة من المعلول حيث إذا أردنا أن نكشف الغطاء عن أسباب هذا التداخل و التغير ، حق أن نعود إلى بدايات الاختلافات التي عرفتتها اللغة العربية الفصحى من جانب آخر في ظروف وأزمنة مختلفة مما يرتبط مباشرة باللهجات العربية بنات الفصحى بالدرجة الأولى.

"إن العلاقة بين اللغة واللهجة هي العلاقة بين العام والخاص ، فاللغة تشتمل على عدة لهجات لكل منها ما يميزها خاصة أن القدماء من علماء العربية كانوا يعبرون عما نسميه الآن باللهجة بكلمة اللغة حيناً...وبالحن حيناً آخر..." (2)

إن اللغة هي أهم وسيلة من وسائل التواصل بين الكائنات الحية منها الإنسان خصوصا كونها تعتبر مجموعة من الأصوات التي يلبي بها حاجته ضمن سلسلة الكلام ، ولأن اللهجة تمتاز بالوظيفة نفسها سميت باللغة أيضا ، ولكن هذا لا يعني أنهما تتطابقان تطابقا تاما إذ أن اللهجة تقتصر على بيئة واحدة تتشارك مع بيئات أخرى لها لهجاتها الخاصة في انبثاقها من لغة واحدة كاللغة العربية الفصحى مثلا.

1- عبد الغفار حامد هلال - اللهجات العربية نشأة وتطورا - ص 101.

2 - إبراهيم أنيس - في اللهجات العربية - ص 15.

الفصل الثاني

أسباب التداخل الصوتي في اللغات واللهجة

وهذا الأمر ربما هو ما طبع تلك الفكرة الشائعة في أذهان بعض الناس ألا وهي أن العربية الفصحى واللهجات العامية تصبان في مجرى واحد ، خاصة أن اللهجات كانت تجري على الألسنة في نطاق بيئاتها المختلفة ، فقد كان عليه الصلاة و السلام يخاطب الوفود القادمة إليه بلهجاتها . في حديثه : " لَيْسَ مِنَ الْبِرِّ الصِّيَامُ فِي السَّفَرِ " (1) خير دليل على ذلك ، حيث استبدل (أَل) ب (أَم) كما يفعل أهل هذه اللهجة . والمولى جل في علاه قال في محكم تنزيله : { وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ رَّسُولٍ إِلَّا بِلِسَانٍ قَوْمِهِ لِيُبَيِّنَ لَهُمْ } سورة إبراهيم الآية 4. لأن أهمية الأمر تكمن في " الإفهام والتفهم ، فكما كان اللسان أبين كان أحمد ، وكما كان القلب أشد استبانة كان أحمد أيضا ، والمفهم لك والمتفهم عنك شريكان في الفضل إلا أن المعلم أفضل من المتعلم إلا في الخاص لا يذكر و القليل الذي لا يشهر." (2)

إن معرفته عليه أفضل الصلوات و أركى التسليم بلهجات العرب المتنوعة والكثيرة و إتقانه لها ومخاطبة كل قبيلة بلهجتها الخاصة بها دون اللجوء إلى استعمال اللغة الموحدة لكل تلك اللهجات وهي الفصحى ، لدليل قاطع لبعض الناس على أحقية اللهجات العربية بالتخاطب في الحديث اليومي أحقية العربية الفصحى إذا كانت القدرة على التبليغ بها أكبر و أفيد من قدرة اللغة العربية الفصحى و أن لا إشكال يطرح مطلقا في الجمع بينهما وقتما شاءوا ذلك.

و أثر اللهجات تعداه لذلك أيضا ليظهر في قراءة القرآن الكريم فيما أوضحت بعض الأحاديث من صحة القراءة باللهجات العربية المتعددة والحديث الذي رواه "بخاري ومسلم والنسائي" يؤكد هذا الأمر ويثبت الأهمية البالغة التي تشكلها اللهجات إلى جانب العربية الفصحى، وفي نهايته : " نزل القرآن بسبع لغاتٍ كلها شافٍ كافٍ." (3)

لكن رغم هذا كله، إلا أنه لابد من إدراك أمر ما هو أن " الناس يستخفون ألفاظا و يستعملونها وغيرها أحق بذلك منها ، فالله تعالى لم يذكر إلا في موضع العقاب أو موضع المدقع والعجز الظاهر ، والناس يذكرونه في حال القدرة والسلامة كما لا يفرقون بين الغيث والمطر فيؤثرون ما هو أقل في أصل اللغة ويدعون ما هو أظهر و أكثر." (4)

1- أحمد بن علي بن حجر العسقلاني - فتح الباري شرح صحيح البخاري - دط - مراجعة قصي محب الدين الخطيب - دار الريان للتراث - 1986م - ص 216.

2 - الجاحظ - البيان والتبيين - ط7- ج1 - تحقيق عبد السلام هارون - مكتبة الخانجي - القاهرة - 1998م - ص 11 - 12.

3 - أبو الفتح عثمان بن جني - الخصائص - ج2 - ص 10.

4 - الجاحظ - البيان والتبيين - ج1- ص 20.

والمعروف في اللغات أنه لكل مقام مقال يلائم سياقه . وأن المترادفات في اللغة العربية الفصحى رغم أنها تحمل دلالة واحدة إلا أن هذا لا يعني التعامل معه بسياق واحد ، فالمعنى نفسه بين كلمتي (عذب و زلال) عند قولنا : ماء عذب يساوي قولنا : ماء زلال ، لكن في موضع آخر لا يستقيم المعنى إذ يمكن أن نقول لشخص : لسانك عذب في حين لا يمكننا القول لسانك زلال. ومع هذا فقد احتفظت كل من اللهجات بصفات يسهل على اللغوي إرجاعها إلى أصلها القديم ، وهذه العناصر لا يصيبها إلا قليل من التغيير رغم العوامل التي تأثرت بها ويمكننا حصرها فيما يلي :

الضمائر - الأعداد - وأسماء الإشارة والموصول - أدوات الربط بين أجزاء الجملة...(1)

أما الصفات الصوتية الأخرى التي تميز اللهجات بعضها عن بعض فتتلخص فيما يلي :

- إختلاف في مخارج بعض الأصوات اللغوية.

- إختلاف في وضع أعضاء النطق مع بعض الأصوات.

- تباين في النغمة الموسيقية للكلام.

- إختلاف في مقياس بعض أصوات اللين.

- إختلاف في قوانين التفاعل بين الأصوات المتجاورة حين يتأثر بعضها ببعض.(2)

إذن مع أن اللهجة العامية هي وليدة اللغة العربية الفصحى قد حق لها أن تنتشر من نبعها وتتصف بصفاتهما. لكن مع مرور الزمن إكتسبت اللهجة ما يجعلها بشيء ما تأخذ ميزات العربية الفصحى السامية ، خاصة مع تشبع الإنسان باللهجة التي فطر عليها وعلى التواصل بها مما جعله يتكون بصفاتهما ، وهذه الأخيرة وقفت عائقا بينه وبين ضرورة إتقان اللغة العربية الفصحى بجميع معاييرها الصوتية. تلك القواعد الصحيحة التي أهمل بعضها إهمالا كبيرا نتيجة تعويضها بأصوات درج على نطقها في اللهجة العامية. ما انبثق عنه تداخل بين أصوات اللغة العربية و اللهجة العامية عنده سواء بوعي منه أم دون وعي . فإذا أردنا في المقابل معرفة الدوافع الرئيسة المسببة لهذا التداخل ماذا سنجد ؟

1 - إبراهيم أنيس - في اللهجات العربية - ص 16.

2 - المرجع نفسه - ص 16.

إن اللغة في عمومها هي وجهين لعملة واحدة في آن واحد فهي الحضارة وروح الأمة وكيانها وكل ما يعكس شخصيتها ولهذا وصفت بالخطيرة لأنها الدليل القاطع الذي لا شك في صحة نتائجها المنبثقة عن رغبة كل باحث في استقصاء ظهورها ونموها وتطورها وطبيعتها منذ الأزل، فإن هي لم تغلح في تحقيق ذلك اتهمت اللغة بالهوان والذبول وبالتالي هذا الحكم يرتبط مباشرة بالأمة نفسها وهو إطاحة بها في الوقت نفسه أيضا.

وصلتنا باللغات الأجنبية وثقافتها كالإنجليزية والفرنسية تسمح لنا بالقول : إن اللغة المشتركة العامة المستعملة في الثقافة والعلوم و الإذاعة والصحف والحديث الجدي تعيش بجوارها لهجاتها المحلية التي يتحدثها رجل الشارع والمتقف في حياته العادية... فعلى سبيل المثال نجد أن في اللغة الإنجليزية لهجة إسكتلندا تختلف عن لهجة إنجلترا إختلافا بينا في نطق بعض الكلمات فمثلا في كلمة (start) ينطقها أهالي سكوتلندا الحرف (r) ولا ينطقه أهالي إنجلترا فإذا تعلم الأسكتلندي الفصيحة منع من ذلك النطق، ويختلف الأمريكيون عن الإنجليز في تفخيم وترقيق الحرف a فمثلا الكلمات (half و night أو can) مفخمة عند الإنجليز و مرققة عند الأمريكيين.(1)

وعليه فإن ظاهرة تداخل الأصوات بين اللهجات واللغات لا تقتصر على اللغة العربية الفصحى و اللهجات العربية فقط ، بل يشمل ذلك لغات أخرى عرفت بلغات التطور و التكنولوجيا الحديثة - الفرنسية و الإنجليزية - إذ في لغة واحدة نجد تباينا في كيفية نطق أصواتها بين منطقتين متجاورتين . مما يبرز تأثير أصوات أي لغة من اللغات بالظروف التي تعثر بها ، والمحيط الذي تعيش فيه مهما كانت خصائصها . ولما تمتاز به اللغة العربية الفصحى من ميزات لا تتوفر في أي لغة غيرها ، فإن الأمر عندما يتعلق بها يكون حساسا للغاية.

ومما جاء في " البيان و التبيين " ضمن ما يدخل في التأثير والتأثر بين اللغات و اللهجات أن " اللفظ الهجين الرديء و المستكره الغبي ، أعلق باللسان و آلف للسمع و أشد التحاما بالقلب من اللفظ النبیه الشريف ، والمعنى الرفيع الكريم... يعيش في القلب ثم يبيض ثم يفرّخ فإن ضرب بجرانه ومكن لعروقه ، استفحل الفساد وبزل ، وقوي داؤه وامتنع دواؤه ... (2)

1 - محمد عياط - قضايا معاصرة في الدراسات اللغوية - عالم الكتب - القاهرة - ط1 - 1989م - ص76.

2 - الجاحظ - البيان والتبيين - ج1 - ص 86.

يشير هذا القول إلى خطورة اعتماد تلك الألفاظ الحديثة التي ظهرت في اللغة العربية الفصحى قادمة من لهجات عربية متنوعة ويقصد على وجه التحديد تلك الألفاظ المتعلقة بأسماء الطعام ، أو الطرائف المضحكة وغيرها... كالألفاظ تعامل معاملة ألفاظ اللغة العربية الفصحى بأي شكل من الأشكال، فهذا سيفتح باب المجال واسعا أمام كل محاولة لذلك فتتدثر العربية الفصحى وتفقد هيبتها وقوتها وميزاتها التي خصها الله بها.

والجاحظ الذي يعتبر من أفاذ اللغة العربية و رافعي رايها ، والآخذين بها إلى التطور و الرقي لم يمنعه ذلك من اعتماد اللهجة العامية في أشهر كتبه " البيان و التبیین " في مواضع خفيفة يحبها الإنسان باعتبارها جو المرح الذي تضيفه عليه وربما ما كان ليكون هذا تأثيرها عليه لو كانت بالعربية الفصحى و بالتالي فإن هذا الأمر سيجعل القارئ يشعر بلذة القراءة ويستشعر الغاية من وراء ذلك بشكل ظريف مختلف ودون أن يشعر بذلك.

ومن المظاهر التي تمتاز بها اللغة العربية إلى جانب ما ذكر آنفا : " استعمال اللهجات في مجالات الفصحى أو العكس ، وربما كان أهم فن أدبي يقع في ذلك الآن هو " فن القصة" وأشير أن العامية تستعمل في التعبير عن الأفكار الدارجة والمواقف العادية. ويبدو أن التهجم على ذلك الفن الأدبي ممن لا يحسنونه قد دفعهم إلى نقل تلك الأفكار والمواقف فيما يكتبون من قصص فكثير منها يدور حول المقاهي... والأحياء البلدية و " الشاويش " عوكل. وعمي مدبولي... ولذلك كان من الطبيعي أن يستعملوا في ذلك اللهجات العامية . فأصبحت قصصهم بلا موضوع و لا لغة." (1)

ومثال ذلك في القصص الجزائرية: سي الطاهر بدلا من السيد طاهر... لالة خديجة بدلا من السيدة خديجة... حومة بدلا من حارة... نلاحظ اجتياح تلك المفردات الدارجة بشكل كبير جدا حتى أننا لا نكاد نقرأ قصة جزائرية إلا ونصطدم بهذه الظاهرة. وبالتالي صارت شيئا مألوفا في هذا الفن النثري تحديدا.

حينما يسمع الفرد بمثل هذه المفردات في مواطن كان من المفروض أن تكون بالفصحى بدل اللهجة العامية. فيعتقد خاصة ، غير المثقف من عامة أفراد المجتمع ، أو غير الواعي بخصائص هذا الفن كالتلاميذ مثلا أنه لا ضير من أن يتحدث لغته العربية الفصحى ممزوجة بلهجته العامية ، أو أن يضيف عليها طريقته الخاصة فيتحدث بها كما يشاء. و بالطريقة التي تشعره بالراحة ليغير كلمة مكان أخرى أو حرفا محل آخر. كما أتاحه له لسانه أو المحيط الذي يعيش فيه.

الفصل الثاني

أسباب التداخل الصوتي في اللغات واللهجة

إن البحث عن أسباب التغيير الصوتي من أصعب مشكلات علم اللغة ذلك أنها ليست وليدة اللحظة بل أنها حصيلة تراكمات كثيرة على مر السنين منها ما بقي ظاهرا للعيان دونته كتب التاريخ وهذا أمر معرفة أسبابه والوقوف عنده هين لا إشكال فيه ، لأن المشكلة الحقيقية ترتبط بما خفى أثره واندثر، و من أجل ذلك اقترحت تفسيرات كثيرة ، تحاول جميعها تفسير المشكلة تفسيراً منطقياً علمياً ومنها :

1- 1 من الناس من يقول أن الميول العرقية تحدد سلفاً الإتجاه الذي يسير فيه التغيير الصوتي.(1) فاللغة دائمة التطور مهما أحيطت بسياج من الحرص عليها. والمحافظة على خصائصها. لأن اللغة ليست في الحقيقة إلا عادات صوتية تؤديها عضلات خاصة، ويتوارثها الخلف عن السلف.(2)

ومن الأسباب التي تجعل اللغة قابلة للتغيير مع كل التدابير التي تتخذ لمنع ذلك هو أن الحياة الاجتماعية عند الإنسان تختلف من زمن لآخر ، ومن بيئة لأخرى ومن إنسان لإنسان أيضاً. لأن الفرد الذي يعيش حياة اجتماعية مترفة لن يعبر بلغته كما يعبر بها الإنسان الميسور، الذي يعتبر أسلوبه مبتذلاً لا يليق بمقامه - بالنسبة للغني - فلا يرغب بتقليده والحديث مثله ، كما أن لغة الفقير المعدم هي أيضاً تعد لغة منحطة لكل من الإنسان الغني و الميسور إلى جانب ما يعانيه من سوء الأوضاع الاجتماعية التي زادت الطينة بلة وانعكست بوضوح على لغته وطرق تعبيره وتواصله مع بقية أفراد المجتمع و التي قد يصفونها بالسلبية.

2- 1- غالباً ما عدت التغييرات الصوتية تكيفاً لظروف التربة والمناخ فبعض اللغات الشمالية تكثر فيها الأصوات الصحيحة. في حين تكثر الحركات في بعض اللغات الجنوبية مما يكسبها تناسقاً صوتياً ، إن المناخ وظروف الحياة قد يؤثران في اللغة.(3)

يبرز من هذا السبب تأثير طبيعة البيئة والمناخ ونوعيهما في اختلاف الأصوات و اختلاف صفاتها من منطقة لأخرى، وذلك من حيث درجة البرودة و الحرارة ومن حيث ما تتكون منه من هضاب وسهول وجبال...إلخ

1 - فرديناند دي سوسير - علم اللغة العام - ترجمة يوثيل يوسف عزيز - مراجعة يوسف مطلبى - ط3 - دار آفاق عربية - بغداد - 1985م - 180.

2 - إبراهيم أنيس - الأصوات اللغوية - مطبعة نهضة - مصر - دط - دون ت - ص 160.

3 - غالب فاضل المطلبى - في الأصوات اللغوية (دراسة في أصوات المد العربية) - ص 180 - 181.

3 - 1- ثمة تفسير آخر ساد منذ بضع سنوات ينسب التغيير في اللفظ إلى تدريس علم الصوت في مرحلة الطفولة إذ ينجح الطالب بعد محاولات كثيرة من الخطأ والصواب ويصبح قادراً على تلفظ ما يسمعه من حوله. وهذه بداية جميع التغييرات إذ تنتصر بعض الأخطاء التي تبقى من غير تصحيح وتظل عند الفرد ، ثم تتعزز وتثبت في الجيل النامي فكثيراً ما يلفظ الطفل (t) بدلاً من (k). (1)

إن الأخطاء الصوتية الكثيرة التي يقبل بها تلاميذ المدارس تعكس الواقع اللغوي الذي آلت إليه اللغة ومدى التحول الذي أصابها ، كونهم يتلفظون بها بشكل عفوي مما يبرز تأثيرهم الكلي بالأنماط التعبيرية التي انبثقت من الوسط الذي يعيشون فيه ، وعليه لو تمكن المعلمون من ضبط وحصر هذه الأخطاء بشكل ما وقاموا بتصويبها بين الحين والآخر فسيسهمون دون شك في القضاء عليها تدريجياً سواء أكان ذلك عند التلميذ ، أم عند بقية أفراد المجتمع من خلال التلميذ نفسه الذي سيطلعهم على طرق النطق الصحيحة التي تعلمها حين ينطقونها خاطئة.

4 - 1- قد تنسب التغييرات الصوتية في بعض الأحيان إلى الحالة العامة للأمة في لحظة من اللحظات ، فاللغات تمر في بعض الفترات التي هي أكثر اضطراباً من غيرها وقد حاول بعضهم أن يعزي التغيير الصوتي إلى الفترات المضطربة في تاريخ الأمة. وأن يجد بهذه الطريقة حلقة وصل بين عدم الاستقرار السياسي وعدم الاستقرار اللغوي ، وبعد الإنهاء من ذلك يزعم بعضهم أن في استطاعته تطبيق النتائج المتعلقة باللغة عامة على التغييرات الصوتية. فيقول - على سبيل المثال - أن أشد الثورات في اللاتينية في أثناء تطورها إلى اللغات الرومانسية اتفق مع فترات الغزو المضطربة جداً. (2)

وعدم الاستقرار السياسي يجسده الإستعمار بمختلف أشكاله كونه يسعى بشتى الوسائل إلى محاولة طمس مقومات الأمة بما تحمله من هوية وطنية في مقدمتها اللغة من خلال نشر أفكاره لتتغلغل شيئاً فشيئاً في نفوس أفرادها ، فيظهر هذا التأثير على لغتهم مباشرة وطرق تعبيرهم وبالتالي تفكيرهم. وكلما طال أمد هذا الإضطراب كلما كان مفعوله أقوى و أعمق.

1 - المرجع السابق - ص 181.

2 - فرديناند دي سوسير - علم اللغة العام - ص 173.

5- 1 - قد أكد لنا المحدثون أنه ليس من أبناء المنطقة الواحدة اثنان ينطقان نطقا مماثلا في كل الصفات ، بل إن المرء الواحد قد ينطق الصوت الواحد من لغته نطقين متباينين في ظروف متباينة .(1)

من الطبيعي أن يختلف نطق الأصوات بين شخصين اثنين و إن كانا من نفس المنطقة ، وهذا الاختلاف ليس باستبدال حروف محل أخرى ، بل في الصفات التي يعطيها كل إنسان لصوت معين فالذي صوته غليظ أكيد لن يكون نطقه للطاء أو غيرها كما ينطقها ذو الصوت المنخفض مثلا ، كما أن الإنسان نفسه يغير في صفات الحروف و نبرات صوته حسب الظرف الذي يمر به ، فصوته في أثناء فرحه ليس هو صوته لحظة حزنه وليس هو صوته لحظة ارتبائه أو غضبه أو مرضه كتعرضه للبحة على سبيل المثال...وهكذا.

6- 1 - إن تراكم تلك الفروق اللغوية الدقيقة، وتبلورها مع مرور الزمن أصبح له أثر واضح في اختلاف نطق الأصوات اللغوية مما لا يدع مجالا للشك في أن لغة الخلف تغيّر لغة السلف في أصواتها . مع أن التطور بينهما يبدو أحيانا ضئيلا إما للتغير الطفيف الذي حدث في الصوت نفسه وبالتالي فإنه لم يغير دلالة الكلمة ، أو أن المتحدثين لم يميزوا هذا الاختلاف إذ أنه لم يشكل عائقا يذكر في أثناء تواصلهم مع بعضهم بعض...و عليه فإن هذا الدليل المتوفر لكشف لغة الأجداد لا يكفي إذ لابد من وسائل أحدث كالإسطوانات و الأشرطة التي تسجل تسجيلًا صوتيًا دقيقًا لا مجال للطعن فيه.(2)

في حياتنا اليومية و في أثناء تواصلنا مع مختلف شرائح المجتمع كثيرا ما تصادفنا بعض الظواهر الصوتية و إن كنا قد اعتدنا عليه خصوصا تلك التي تصدر من كبار السن ، فإنهم غالبا ما يتحدثون بمصطلحات نعتبرها نحن متخلفة جدا لا ترقى إلى مستوى التطور الذي نعيشه منها على سبيل المثال (قدح التي يطلقونها على الأواني مجتمعة) ولكن إذا عدنا إلى اللغة العربية لوجدنا أن الكلمة فصيحة تماما تعني الكوب المليء بسائل ما و أنها لفظ غير متخلف. ومن الظواهر الصوتية التي نسمعها أيضا عندهم نطق بعض الأصوات في الكلمات بطريقة وكأنهم تواضعوا عليها فيما بينهم - أي كبار السن - لا ندري أذلك دون وعي منهم أم التماسا للتيسير في النطق أم لصعوبة نطق تلك الأصوات أم لشيء آخر نجهل كنهه ؟ فمثلا يسمون (القرآن بالقرعان ، والجزائر بالزراير ، و يقولون عَمَى بدل مع المقصود بها حرف الجر...)وغيرها كثير من الألفاظ التي عرفت تغييرا.

1 - المرجع السابق - ص 173.

2 - المرجع نفسه - ص 173.

وهناك أسباب أخرى لها دور في ظاهرة التداخل الصوتي وهي مختلفة الإتجاهات منها:

أ - إختلاف أعضاء النطق/

لقد برهن معظم العلماء على أن أعضاء النطق عند الإنسان تتحد في جميع تفاصيلها. فقد برهن بعضهم في علم التشريح على أن حنجرة أشهر المغنيين لا تمتاز عن حنجرة الرجل العادي من هذه الناحية والفرق بين المغني وغيره أن الأول يملك زمام تنفسه، ويسيطر على ما يندفع من الرئتين من هواء سيطرة تامة... ومصدر هذه السيطرة هو المخ. (1)

و ما نشاهده في البرامج التلفزيونية اليوم أن الإنسان الذي يملك ما يؤهله أن يكون مغنيا ويخضع لتدريبات مكثفة باشتغاله على صوته ، فيُنمّي تلك الموهبة من خلال كسب القدرة على التحكم في تنفسه وأحباله الصوتية ومعرفة مخارج الأصوات والمواضع التي تكون فيها مفخمة، رقيقة...

هذا وقد ثبت بالتجربة أن مدرس " الفوناتيك " يستطيع أن يعلم تلاميذه أي صوت من الأصوات، في أي لغة من لغات العالم مع شيء من المران والشرح العلمي دون أن يصحب عضلات نطق التلاميذ أي تغيير في تكوينها... والمقصود هو انتقال الأصوات القديمة من مخارجها. لتستعمل في مخارج جديدة أو يبطل استعمالها في مكانها الأصلي. (2)

إن مهمة مدرس الفوناتيك المتمثلة في تعليم تلاميذه كيفية نطق الأصوات ، تشبه تماما التمارين التي يخضع لها الشخص الذي يملك مؤهلات لأن يصبح مغنيا جيدا ، مما يثبت أن المران والممارسات الصوتية المتكررة كفيلا أن أكثر من شيء آخر بتقويم طريقة النطق الصحيحة لكل من وقع تحت وطأة الظواهر الصوتية الخارجة عن مألوف اللغة.

¹ - أنظر : فرديناند دي سوسير - المرجع السابق - ص 173.

² - أنظر : إبراهيم أنيس - الأصوات اللغوية - ص 162.

ب - البيئة الجغرافية /

من المحدثين من يجعلون الطبيعة الجغرافية سبب التطور الصوتي الذي يصيب اللغة . فقد عزی بعضهم تطور الأصوات الشديدة في اللغة الألمانية إلى نظائرها الرخوة للطبيعة الجغرافية في بعض جهات ألمانيا. وقد أكدت في مقالات أن الجهات الجبلية تميل لغاتها إلى التخلص من أمثال b، d، g فتهمس أولا و تصبح على الترتيب p ، t ، k ثم تقلب هذه إلى نظائرها الرخوة [الفاء ، الثاء ، الهاء] على الترتيب.(1)

تؤثر طبيعة البيئة على طرق نطق أصوات اللغة بشكل كبير جدا ، فالإنسان الذي يعيش في منطقة باردة تتميز أصواته بالحدة والقوة باعتبار الصعوبة والجهد الكبيرين في أثناء نطقه لها للتعبير عن مقاصده تبعا لقساوة البيئة التي قد تفرض عليه الإستغناء عن أصوات و استبدالها بأخرى - كالمقطبين الشمالي والجنوبي - ، في حين أن الإنسان الذي يقطن في مناطق دافئة تكون أصواته رخوة رقيقة لا يحتاج فيها إلى بذل مجهود أكبر حتى يوصل أفكاره إلى غيره أو أن يهمل أصواتا من لغته .

كما قد تتصل لغة بلغة أخرى عن طريق الغزو الثقافي أو الإستيلاء فيتعلم أهل البلاد لغة الفاتحين ، ولكنهم ينطقون بها محتفظين بخصائص لغتهم الصوتية وهذا ما حدث للغة العربية حين دخلوا العراق حيث تأثرت بالنطق الفارسي ، وتأثرت الشام بالسريانية...ومن هذا الباب دخول بعض الحروف العربية في لغة الأوردو و في اللغة التركية...(2)

ويمكن لنا من هذا أن نضرب مثلا من خلال تلك المصطلحات الحديثة أو الألفاظ الجديدة الدخيلة والمعربة في اللغة العربية في مجالات متعددة من العلوم الجديدة منها مثلا : البيولوجيا ، الجيولوجيا ، المورفولوجيا ، التكنولوجيا... فنلاحظ أن الناطقين باللغة العربية حينما اقتنوها من اللغات الأخرى كان ذلك بحروفها الأجنبية مع إضفاء خصائص ذات صبغة عربية حيث أنا إذا أردنا العودة بها إلى أصلها الأول نجد أنها كانت على هذا النحو : biologie ، geologie ، morphologie ، technologie... وهكذا هو حال تلك المفردات التي تكتسب نفس هذه الخصائص أو تتضوي تحت ما يشير له الأمر أو الموضوع.

1 - إبراهيم أنيس - المرجع السابق - ص 164.

2 - محمد المبارك - قضايا اللغة وخصائص العربية - ط2 - دار الفكر للطباعة والنشر - بيروت - 1964م - ص 57.

انتشرت القبائل العربية على سطح الجزيرة المختلفة طبيعته الجغرافية بين سهول و أودية و هضاب و جبال و سواحل كبرى و غيرها... ومناطق حضارية ومستقرة في مواضع من الحجاز وتهامة و اليمن ومناطق البداوة في نجد والعروض ، ومنه فإن سعة الجزيرة وترامي أطرافها و اختلاف طبيعتها الجغرافية كونت حواجز إلى حد ما بين القبائل العربية مما كان له الأثر الأكبر في محافظة تلك القبائل على ما كان يستجد عندها من ألفاظ و اختلاف في الصوت . وعدم نقلها ذلك الجديد إلى قبائل العرب الأخرى مما أدى بمرور الزمن إلى أن تتحول اللغة العربية الواحدة إلى لهجات كثيرة متعددة.(1)

إن الموقع الجغرافي الذي تتربع عليه أي منطقة مهما كان له أثر كبير في طبيعة أصواتها من حيث نوعها ، وصفاتها ، وكيفية النطق بها لأسباب جمة تتمثل معظمها في عدد المناطق المحيطة بها والمجاورة لها. من حيث نوع التضاريس التي تشتمل عليها و من حيث مساحتها الجغرافية أيضا ، ونوع وعدد الوافدين إليها من الأجانب و الغرباء من ما جاورها... إلخ...

ج - الحالة النفسية /

يعزو بعض العلماء تطور الأصوات من شدة إلى رخاوة ، أو العكس إلى الحالة النفسية التي يكون عليها الشعب . فالشعب حين يميل إلى الدعة و الإستقرار . تميل أصوات لغته إلى الانتقال من الشدة إلى الرخاوة فإذا اعتر الشعب بقوته وجبروته مال إلى العكس و أصحاب هذا الرأي يتلمسون أدلة على قولهم من التطور التاريخي الذي أصاب الشعب الألماني ، وما تبع هذا من تطور في أصوات اللغة غير أن مثل هذا لا يستحق منا أن نقف عنده أكثر من ذلك ، لأن الربط بين أصوات اللغة والحالة النفسية عند الشعوب لا يجد ما يؤيده في تاريخ الشعوب الأخرى .(2)

وفي النظرية السياقية والتي من فروعها سياق الموقف ، حيث أن " لكل مقام مقال" يعني أن الإنسان يخضع لجملة من الظروف التي تؤثر في لغته و طريقة حديثه وبالتالي في كيفية نطقه لمختلف الأصوات . فينطقها وهو يتلعثم أو يرتجف أو يتحدث بسرعة فائقة من الخوف مثلا، أو يتحدث بأسلوب بطيء...وفي هذا و ذلك كله يحدث تغييرات صوتية متنوعة إما بإهمال أصوات أو إضافة أصوات أخرى أو تغيير صوت مكان آخر...بفعل الحالة النفسية التي يعيشها في أوقات مختلفة من الزمن.

1 - حسام سعيد النعيمي - الدراسة اللهجية والصوتية عند ابن جني - ص 79.

2 - إبراهيم أنيس - الأصوات اللغوية - ص 165.

د - نظرية السهولة /

يعد اندثار الأصوات الأسنانية في اللهجات العربية الحديثة مظهراً من مظاهر السهولة والتيسير في اللغة العربية الحديثة... فنرى أن مخرج هذه الأصوات قد رجع إلى الخلف مع احتفاظها بصفة الرخاوة تارة ، أو تحولها إلى صفة الشدة تارة أخرى ، ولا شك أن ذلك جهد عضلي تخلصت منه لغة الكلام.(1)

الإنسان بشكل عام أينما وجد أو حيثما تواجد فإنه يبحث عن الطرق اليسيرة والبسيطة التي بها يبلغ غاياته في جميع مجالات الحياة دون عناء أو شقاء ، وإن مجال التواصل في المجتمعات بين الأفراد أحد المجالات التي احتاج فيها البشر إلى الاختصار والتيسير لغايات مختلفة ومتعددة قد يكون عامل الوقت والجهد أهم سبب جعله يوجد هذا الأمر ويضعه نصب عينيه بأسلوب متعمد أو بطريقة تلقائية عفوية ، فتشيع الظاهرة بعد تداولها على ألسنة الناس لتصبح جزءاً لا يتجزأ من حياتهم بعد فترة من الزمن.

هـ - القياس الخاطيء /

ويبدأ عادة عند فرد يقوم به للمرة الأولى ، ثم قد لا يصلح له ، فينتشر ويزيد فيقلده عامة الناس لينشأ ما يسمى بالأخطاء اللغوية الشائعة التي يمكن أن تتطور وتتغلب على القديم ، وتسود وحدها في أذهان الناس ، ونحن - بطبيعة الحال - لا نعرف ذلك الشخص الذي بدأت عنده عملية القياس لأول مرة ، أو الكلمة التي قاس عليها...وقد عرف علماء اللغة القدماء هذه الظاهرة و أسموها بالتوهم أو الحمل.(2)

مثل هذه الظاهرة التي أسهمت في تفشي الأخطاء اللغوية على ألسنة الناس كثيرة جداً أمثلته في اللغة العربية الفصحى ، إذ أصبح الناس يسقطون كل ما يسمعون على كلامهم سواء كان هذا في اللهجة أم اللغة الفصيحة فعندنا على سبيل المثال لا الحصر كلمة (بنطلون) المعربة ، وهي في المجتمع العربي تنطق (بنطال) ، لكننا نجدهم يُغلبون اللفظ الأول على اللفظ الثاني وهكذا.

¹ - أنظر : رمضان عبد التواب - لحن العامة و التطور اللغوي - ط2 - مكتبة زهراء الشرق - مصر - 2000م - ص 50-

51.

² - أنظر : المرجع نفسه - ص 48.

إن الطبيعة التي بنيت عليها أصوات اللغة العربية الفصحى وحروفها جعلها تكتسب صبغة خاصة عند أهلها من جهة وعند الغرباء عنها من جهة أخرى، خاصة ونحن نعلم أن اللغة العربية الفصحى هي اللغة الوحيدة التي تحتوي على بعض الحروف التي لا توجد في أي لغة أخرى كـ (الحاء، العين، القاف)، وإن الغريب عن العربية إذا أراد تعلمها فإنه سيواجه صعوبة في نطق هذه الأصوات مما يفرض عليه استبدالها أو تعويضها بحروف أخرى لسد الخلل في النطق نظرا لثقلها عليه بفعل عدم اشتغال مخارج هذه الحروف عنده من قبل لغيابها في لغته الأم التي كان يتحدث بها، وهذا ما سيؤثر بلا شك على أصوات اللغة العربية وعلى أفواه متحدثين آخرين إن كانوا على جهل بطبيعتها أو قطنوا جانب أهلها وتأثر هذا الأخير بها... إلخ.

وقد يؤيد هذه النظرية ذلك التطور الذي حدث في أصوات اللغة العربية الرخوة. كالذال والطاء إذ أصبحت في لغة الكلام أصواتا شديدة هي الدال والطاء والضاد... مما يسهل على اللسان الإصطدام بالحنك، والإلتقاء بها التقاء كاملا ينحبس معه النفس وهذا يكون مع الأصوات الشديدة. (1)

مثلت الحروف اللثوية الثلاثة نقطة الخلاف فيما يتعلق بكيفية نطقها الصحيح في كثير من المناطق العربية بفعل عوامل كثيرة أثرت في أصوات اللغة العربية الفصحى وأحدثت خلا كبيرا في مستوى أصواتها بالنسبة لمن ينطقها نطقا خاطئا وبالتالي فإن الأمر له آثار في نواحي أخرى من نواحي اللغة.

و- نظرية الشيوع /

من خلال استقراء جميع الأصوات الساكنة في القرآن الكريم . التي تزيد عن ثلاثمائة ألف من الأصوات باستخدام علم الإحصاء وجد أن : اللام والنون والميم أكثر ما تكون مجموعة من الأصوات الساكنة. هي أكثرها شيوعا في اللغة ولا يبعد أن تكون هذه الحقيقة في كل اللغات السامية. وقد يتساءل المرء: هل رويت لنا آثار في اللغة العربية تؤيد ما نذهب إليه أن الواو والياء كانت في الأصل لاما أو نونا أو ميم؟ (2)

وللإجابة عن هذا يجب البحث والتنقيب في المطولات من المعاجم العربية عن ألفاظ اشترك معناها ولم يختلف لفظهما إلا أن نجد مكان الياء أو الواو منها لاما أو نونا أو ميم.

¹ - إبراهيم أنيس - الأصوات اللغوية - ص 166 - 168.

² - المرجع نفسه - ص 180.

وفي نظرة عاجلة عثر " إبراهيم أنيس" في قاموس المحيط على ما يقرب من مائتي كلمة تؤيد ما ذهب إليه و رأى أنه ليس من المعقول أن اشتراك المعنى بين كل هذه الكلمات كان مجرد مصادفة فهي من الكثرة بحيث تدع اللغوي يفكر في سر هذا الإشتراك ، ويحاول الكشف عنه وسيكتفي هنا بذكر بعض من الأمثلة التي عثر عليها :

- ١ - الوقص / العيب والنقص. ٢- اللکز / الوکز. ٣- وعكة /كوعدة. ٤- الضنك / الضيق. ٥- العيس / النوق. العنس / الناقة. ٦- جـلـخ السيل الوادي / ملأه. جـاـخ السيل الوادي / اقتلع أـجـرافه. ٧ - دجا الليل / والدجن / الظلمة...(1)

فمما نلاحظه في هذه الكلمات من اختلافات واضح جدا من خلال استبدال أصوات بأصوات أخرى كما ذكرنا سالفا فيظهر التغيير مباشرة و مع هذا قد حافظت على معناها الأصلي ولم يتغير :

الوقص = النقص (قلبت الواو نونا)، اللکز = الوکز (حيث قلبت الواو لاما)، الضنك = الضيق (قلبت الياء نونا والقاف كاف)، العيس = العنس (قلبت الياء نونا أيضا). وهكذا في باقي الكلمات...

ز - مجاورة الأصوات /

لقد مالت بعض اللهجات العربية القديمة إلى التخلص من توالي الصوتين المتماثلين في حالة الإدغام ، وأضافت سهولته سهولة أخرى بأن يقلب أحد المدغمين إلى صوت لين طويل أو ما يشبهه... فظاهرتي المماثلة والمخالفة تهدفان دائما إلى الإقتصاد في الجهد العضلي.(2)

تعد ظاهرتا المماثلة والمخالفة من مظاهر التغيرات اللغوية في اللغة العربية - كما أشرنا سابقا - التي أوجدتها ظروف التطورات اللغوية الحاصلة المستنتجة من طرف علماء اللغة في ظل دراستهم لقضايا الصوت العربي والوقوف على جميع حيثياته باختلافها وتشعبها.

¹ - المرجع السابق - ص 180 - 183.

² - المرجع نفسه - ص 173.

وقد يكون الصوت في ذاته سهل النطق ، وهو مفرد لا يجاور غيره من الأصوات فإذا جاور غيره أو وجد في موضع خاص من الكلمة استلزم النطق به في هذا الموضع الخاص جهدا عضليا أكبر . مما يؤدي إلى قلب هذا الصوت إلى صوت آخر... فتفخيم الباء في مثل (بطل) ليس في الحقيقة إلا اقتصادا في وضع اللسان مع الباء و الطاء وانسجاما بين صوتي اللين مع الباء والطاء.(1)

في عموم ما تشير إليه هذه النقطة وغيرها هو التماس المتحدث باللغة دائما كل ما له علاقة بالسهولة والتيسير في نطقه لأصوات لغته أو يوصله إلى اقتصار الجهد العضلي أثناء تعامله باللغة و تواصله بها.

وكذلك انقلاب المهموس إلى مجهور لمجاورته لصوت آخر مجهور هو في الواقع اقتصاد في عملية المزمار الذي يفتح مع المهموس ويضيق مع المجهور ، ليتذبذب الوتران الصوتيان ومثل هذا يمكن أن يقال في قلب الباء ميما إذا وليها ميم كما في المثال : " اركب معنا " لأن الهواء مع الباء يتخذ مجراه من الفم ، ولكن مع الميم يتخذ مجراه من الأنف هذا ما في الباء من صفة الشدة. فإذا قلبت الباء إلى ميم اقتصدنا جهدا عضليا ملموسا.(2)

إذا دققنا التأمل جيدا في أحوال اللغة المستعملة من طرف المتحدث لوجدنا أنه يتعامل بهذه الظواهر المشار إليها تلقائيا دون علم منه بأن هذه القاعدة هي من خصائص اللغة العربية، خاصة في قراءته اليومية لكلام الله عز وجل أو في مواضع أخرى في سياقات مختلفة.

ومما جاء في قول لابن خلدون : " أن اللغات كلها ملكات شبيهة بالصناعة...هكذا تصيرت الألسن واللغات من جيل إلى جيل و تعلمها العجم الأطفال...ثم أنه لما فسدت هذه الملكة لمضر بمخالطتهم الأعاجم وسبب فسادها أن الناشء من الجيل صار يسمع في العبارة عن المقاصد كصفات أخرى...فاختلط عليه الأمر من هذه و هذه فاستحدثت ملكة و كانت ناقصة عن الأخرى."(3)

فمشكلات اللغة العربية عرفت منذ زمن الفصاحة والقوة ولم تقتصر على زمننا الحاضر فقط إذ أن الإنسان يغير في هذه الأداة حسب ما تقتضيه حاجاته المختلفة ، التي تفرض عليه سبل أخرى في التواصل مع غيره كونه سريع التأثير الدائم بالظروف المحيطة به.

1 - إبراهيم أنيس - الأصوات اللغوية - ص 173.

2 - المرجع نفسه - ص 175.

3 - ابن خلدون - من مقدمة ابن خلدون - مراجعة سهيل ذكار - دار الفكر للطباعة والنشر - لبنان - 2001م - ص 865.

وفيما ذهب إليه" جوزيف فندريس "عن التطرق لأهم أسباب التطور اللغوي هو أن : " المَسْكَن يؤثر أيضا على تطور اللغات... فإذا كان السَّكَّان يعيشون في مجتمعين في محلات ومدن ، فإن هذا النوع من الحياة يساعد على خلق اللغات المشتركة...ومن ذلك نرى أن التأثير الاجتماعي لا يعوق تطور اللغة أو يُعَجِّل به فحسب ، بل أيضا يعين اتجاه هذا التطور ومَداه". (1)

لنا أن نضرب مثالا هنا بذلك الجو الذي يتقاسمه طلبة الجامعة الجزائرية القادمون من مختلف ولايات الوطن ، كل منهم يحمل معه لهجته المختلفة وطريقة تفكيره وكل ما تمتاز به منطقته عن باقي المناطق الجزائرية ، فيضطرون للعيش تحت سقف واحد في إقامة واحدة والاندماج مع بعضهم بعض من خلال تفاعل لغوي موحد يفهمه الجميع قصد التواصل فيما بينهم مما سيخلق لا محالة لغة جديدة موحدة لآرائهم وطرق تفكيرهم وإن كانت لفترة وجيزة من الزمن ، لكنها دون شك ستصبح جزءا من مكوناتهم اللغوي الجديد إضافة إلى ما سيحصلونه من معارف مختلفة وثقافات وعادات مختلفة وغيرها من رؤى ووجهات نظر ستظهر في وسيلة تواصلهم الأولى ألا وهي اللغة في حد ذاتها.

إضافة إلى ما ذكرناه من العلل والأسباب أنه لا عبرة بالتبدل إذا حدث في حادثة فردية خاصة كأن يكون ناشئا عن علة في نطق واحد من الناس ، أو عن خطأ في النطق يقع فيه بعضهم ويكون جواب الناس عليه السخرية أو الإنتقاص . و إنما العبرة للتبدل الذي يكون عاما في مجموعة من الناس. كسكان بلد أو مدينة أو إقليم أو في طبقة من الطبقات الاجتماعية أو يظهر في جيل من الأجيال في عصر من عصور اللغة فيستدل من عمومهم في جيل أو جماعة على أن له سببا عاما و إن في الناس استعدادا لمثل هذا التبدل لسبب ما من الأسباب المتعددة.(2)

وعليه فإن التداخل أو التغيير أو التبدل الصوتي أو كل كلمة تصب في هذا المعنى أن لا فائدة من تسميتها بهذا الاسم إلا إذا حدثت في بقعة واحدة مشتركة بين عدد من الأفراد تواتروا على التعامل بها على هذا النحو المستحدث بصفة دائمة وبشكل منتظم وطريقة مماثلة، حتى نستطيع تسميته بما اصطلح عليه بالتداخل أو ما صب في هذا المعنى.

1 - جوزيف فندريس - اللغة - ص 428.

2 - إبراهيم أنيس - الأصوات اللغوية - ص 173.

2 - قوانين التداخل الصوتي في اللغة العربية/

إن اللغة كما أشرنا لها مسبقا مظهر من مظاهر الحياة الاجتماعية وهي تتبدل وتتطور فهي لذلك تخضع سائر الحوادث والظواهر الاجتماعية لقوانين تسير عليها وتتطور بحسبها. فليس تبدلها اعتباطيا ولا تطورها فوضى كما أدرك علماء كل لغة ، فاستخرجوا بادءا ذي بدء قواعد لضبطها على الوجه الصحيح وتميز الخطأ من الصواب أو ليست هذه القواعد (النحوية و الصرفية) دليلا على أن اللغة تنظمها ضوابط عامة مطردة ، لا يمكن لأي كان أو أي شيء كان أن يرتطم بها أو ينتظم معها هكذا هباء دون سابق إنذار. إذ كل شيء يسير وفقا لقاعدة عامة مستنتجة من اللغة نفسها.(1)

وأما التطور الصوتي فلم يحدث في العربية الفصحى منذ أمد بعيد على الأقل ، إذ أن القرآن حفظ لنا أصواتها كما لفظها العرب ونقلها إلينا ، وإنما الذي طرأ هو تطور لغة المحادثة التي تفرعت لهجات عديدة عن اللغة الفصحى فتبدلت بعض أصوات الفصحى من حروف ومدود وحركات ، كتبدل القاف والطاء والذال والظاء والجيم في مناطق مختلفة من البلاد العربية إلى أصوات تختلف باختلاف المناطق.(2)

وهذا ما حدث في مستوى اللغة الفصيحة حينما تأثرت باللهجة العامية في مناطق الجنوب الجزائري بالنسبة لما للحروف اللثوية الثلاثة " الـثاء، الـذال ، الـظاء" من خصوصيات، فحن حينما نسمعها تُستبدل بحروف أخرى في الكلمة الواحدة يذهب فكرنا إلى معانٍ و مفاهيم أخرى إن كنا على جهل بالطبيعة اللغوية لتلك المناطق . فإذا نحن سمعنا صدفة أو التقطت آذاننا مثلا لفظة "سم" من أفواه أحد أفراد هذه المناطق المعنية يخيل إلينا أنها السائل أو الشراب القاتل ، و هذا إن لم نتمعن جيدا في الكلام لنستنتج أن المقصود بها هو حرف العطف "ثم" بالـثاء وليس بالسين فنذكر تأثير هذا النطق في معاني المفردات العربية بشكل واضح.

وعليه لا بد لنا أن نتساءل عن مفهوم القانون الصوتي ؟ وأنه إن كان للغة عموما قوانين تشترك فيها جميع اللغات ؟ وإن كان بين البشر صورة منطوق مشترك وخصائص مشتركة ؟ وكانت حياتهم الاجتماعية كذلك تسير في تطورها على قاعدة موحدة ؟

1 - أنظر: محمد المبارك - فقه اللغة وخصائص العربية - ص 59.

2 - أنظر: المرجع نفسه - ص 66.

"تُلاحظ صحة هذا القول في بعض عناصر اللغة ، إذ أن معاني الألفاظ من الحسيات إلى المجردات وانتقالها بطريق التعميم أو التخصيص أو المجاورة ينطبق على ما يظهر على عدة لغات ويمكن أن يؤتى بأمثلة مماثلة ، لكن الواقع أننا لا نزال بعيدين عن المرحلة التي يرى فيها عددا من القوانين التي تنطبق على جميع اللغات . لأن الأبحاث اللغوية لم تبلغ بعد مرحلة النضج المطلوب تماما و الموصل إلى الغاية بجميع حيثياتها." (1)

و لمعرفة هذه الحثيات و معرفة اللغة معرفة دقيقة وعميقة لابد من إدراك قوانينها وسنن تطورها عبر مراحل زمنية مختلفة و متفاوتة لخصت جملة من التغيرات و التحولات و صهرتها في بوتقات متباينة المعالم والخصائص والمميزات التي حولتها إلى أشكال مختلفة.

إذا نظرنا في أصوات أو حروف كل لغة نجدها معرضة للتبدل في بعض الأحوال كإنقلاب النون الساكنة قبل الباء ميمًا في التلفظ في اللغة العربية. وإدغامها فيما بعدها إذا كانت ساكنة وكان ما بعدها أحد الحروف الستة التي جمعتها كلمة ' يرملون'. أو التبدل المستمر الذي أدى إلى إبدال صوت بصوت آخر كإبدال القاف العربية في اللهجة العامة في بعض المناطق همزة والهاء تاء و الذال دالا ومثال ذلك ما حدث في اللاتينية التي تبدل كثير من حروفها في تطورها في اللغات: الفرنسية، الإسبانية و الإيطالية.(2)

فهل هناك قوانين لها القدرة على التحكم في هذه التبدلات و التحولات الصوتية وتجعلها خاضعة في أثناء وقوعها إلى نظامها؟ وما هي طبيعة هذه القوانين إذا كانت موجودة في الواقع حقا ؟ وهل هي قوانين خاصة بكل لغة أو هل يمكن أن تكون شاملة لعدة لغات في آنٍ واحد لتوحيد نظامها؟

إننا إذا استقرينا حوادث التبدل الصوتي في لغة من اللغات نجدها في اتجاه واضح ولو بعض الوضوح ، ونجدها تسير وفقا لقانون عام ولو أن له استثناءات . أوليس التبدل الذي طرأ على بعض حروف الفصحى في اللهجات العربية العامية عاما بالنسبة إلى تلك الحروف شاملا لقطر جغرافي واحد أو بلد واحد أو لعدة أقطار.(3)

1 - أنظر : المرجع السابق - ص 37.

2 - أنظر : المرجع نفسه - ص 59.

3 - أنظر : المرجع نفسه - ص 59.

تجدر بنا الإشارة إلى توضيح المقصود من مصطلح القوانين الصوتية التي سخرها درس اللغوي ، و قد عرف " فندريس " القانون الصوتي بأنه : " علاقة بين حالتين متتابعتين للغة واحدة في وسط اجتماعي معين ، فهو ليس قانونا عاما شبيها بقوانين علم الطبيعيات أو علم الكيمياء ، كما يختلف اختلافا جذريا عن القوانين التي يسُنُّها المجتمع للهيمنة على أفعال الشر، لأن غاية مشرعي قانون العقوبات مثلا إنزال العقاب الصارم بالجناة للحد من مظاهر تجاوزهم على الآخرين ، والقانون المدني لتحديد مناحي سلوك أبناء المجتمع ، وصلاتهم بالآخرين." (1)

لقد احتاج الإنسان على وجه البسيطة منذ وجوده عليها إلى إحداث قوانين عامة يحمي بها نفسه من جميع نواحي الحياة المعيشة ، ويتصدى بها إلى ما يمس كرامته فيجعلها حاجزا يمنع به السوء عن نفسه، وكما كان لابد من ذلك قد احتاجت اللغة أيضا إلى دعامة رصينة وقوية تمنع عنها الهشاشة والتراجع الذي يؤدي بها إلى الذبول والتلاشي ، فأحدثت لها قوانين تلبي لها هذه الغاية السامية ، لأن اللغة هوية الأمة وحامل تاريخها وحامي تراثها وحضارتها من الإندثار.

ألم يطرأ على حرف الراء في اللغة الإنجليزية من التخفيف بل من الحذف ما يكاد يجعل هذا التبدل عاما في جميع ألفاظ اللغة الإنجليزية؟ ، ولا سيما حين تقع الراء في وسط الكلمة أو آخرها. إن أمثلة كثيرة في جميع اللغات تدل دلالة واضحة على أن ما يجري فيها من التبدلات الصوتية إنما يجري تبعا لنظام يمكن اكتشافه ومعرفة صيغته بعد الإستقراء و البحث.(2)

1 - أنظر : جوزيف فندريس - اللغة - ص 72.

2 - محمد المبارك - فقه اللغة وخصائص العربية - ص 60.

و المطلع على اللهجات العربية والمنتبع لها سواء من قريب أو من بعيد ، يلاحظ أن بعض أصوات اللغة العربية الفصحى كالقاف والجيم مثلا، أن القاف تستبدل بحروف أخرى ففي بعض اللهجات الخليجية تستبدل (بالجيم) فينطقونها في كلمة (رفيجي) بدل (رفيقي)...أو بحرف (الغين) كما في السودان على نحو قولهم في كلمة (القضية) (الغضية) بالغين بدل القاف... والأمر نفسه مع حرف الجيم الذي ينطق بأشكال مختلفة في كثير من المناطق العربية.

و إذا كان من الضروري تسخير قوانين تخضع لها التطورات اللغوية المتواترة فلا بد أن تحتكم إلى الصرامة والدقة بغية الحفاظ على الخصائص اللغوية المعهودة. " فالقانون الصوتي ، بوصفه تعبيراً عن تغير وقع في الماضي ، له صفة الإطلاق لأن جميع الكلمات التي تتبع آلية واحدة تتغير بنفس الصورة ، وإذا عرفت من اللغة كلمة يبرر القانون صيغتها ، عرفت مقدما صيغة جميع الكلمات الأخرى التي تقع تحت طائلة هذا القانون الذي يلخص هذه العمليات ويوضح جميع الإرتباطات المتعلقة بالأمر. "(1)

التغيرات الصوتية التي تشهدها اللغة عموما كثيرة و متباينة على امتداد العصور من مراحل إلى مراحل أخرى ، ومن كيفية إلى كيفية أخرى ومن منطقة إلى منطقة أخرى... و لذلك فإن الإطلاع على القواعد الأولية و الأصلية مهم جدا في الوقوف على حيثيات كثيرة يحتاج إليها الدرس اللغوي الحديث والصوتيات الحديثة على وجه الخصوص لرصد ما يساعد على معرفة الأسباب والمظاهر وبالتالي رسم القوانين وغيرها.

و لمعرفة القوانين الصوتية للغة بشكل عام لابد لنا من الإشارة إلى أمر مهم وهو أن : " اللغة - شأنها في ذلك شأن الظواهر الاجتماعية الأخرى - عرضة للتطور المطرد في مختلف عناصرها : أصواتها وقواعدها ومنتها ودلالاتها ، وتطورها هذا لا يجري تبعا للأهواء والمصادفات أو وفقا لإرادة الأفراد ، وإنما يخضع في سيره لقوانين جبرية ثابتة مطردة النتائج ، واضحة المعالم ، محققة الآثار لا يد لأحد على وقف عملها ، أو تغير ما تؤدي إليه. "(2)

1 - أنظر : جوزيف فندريس - اللغة - ص 72.

2- رمضان عبد التواب - لحن العامة والتطور اللغوي - ص 35.

الفصل الثاني

أسباب التداخل الصوتي في اللغات واللهجة

من الطبيعي أن تشهد اللغة ، مهما كان عمرها أو اتسمت به من خصائص ، تغيرات مختلفة* عبر مر العصور، مما يدل على أن ذلك ضرورة حتمية لا مفر منها أبداً تقف أمام جميع تلك الجهود التي سخرت لوقف الكم الهائل من التطورات الصوتية المستمرة في الظهور جيلاً بعد جيل دون هوادة لتثبت تفوق قوة الطبيعة على قوة البشر .

* والتغيرات الصوتية باختلاف مظاهرها و أنواعها تصب في قالبين هامين أو نوعين مختلفين هما تغيرات : (1)

* - مطلقة: وهي تلك التي تحدث من التحول في النظام الصوتي للغة بحيث يتحول الصوت اللغوي إلى صوت آخر في اللغة بعيداً عن تفاعل الأصوات ومتطلبات السياق. ومثال ذلك أنه من الأصوات التي تعرضت لتغيرات عدة صوت " القاف" ، حيث أخذت أشكالاً مختلفة فتطورها إلى حرف الكاف مثلاً قد شق طريقه إلى الفصحى من خلال تلك الألفاظ التي عدها اللغويون مما أبدلت فيه القاف كافاً. " وقد ذكر أن العامة في الأندلس كانت تقول : استكتل بدل استقتل... كما ذكر بن مكي الصقلي أن العامة على عهده كانت تقول للقميص الذي لا كمي له: بكيرة بدلاً من بكيرة... وهناك تطور آخر حصل لها هو نطقها غينا كما في السودان وجنوب العراق، كما تطورت إلى نطقها جيما كما في بعض دول الخليج فيقولون مثلاً: يوم الجيامة بدل القيامة..."

* - مقيدة: وهي تلك التطورات التي تحصل للأصوات بفعل تجاورها في سياقات صوتية معينة، فهي إذا مشروطة بعوامل صوتية تشكيلية. وتفاعل هذه الأصوات في السياق وتأثير بعضها ببعض يخضع لقوانين صوتية توجهه و تتحكم فيه لذلك فليس الأمر فوضى عارمة أو بمحض الصدفة. وتكون هذه القوانين في جملتها ينسحب أثرها على اللغات الإنسانية عامة ويسري مفعولها عليها دون استثناء، وقوانين أخرى خاصة تركز على اللغة العربية منفردة .

¹ - أنظر : فوزي حسن الشايب - أثر القوانين الصوتية في بناء الكلمة العربية - ط1 - عالم الكتب الحديث للنشر والتوزيع - الأردن - 2004م - ص 37.

- و في حديثنا عن القوانين العامة حسب ما أورده علماء الصوت فإنها تتمثل فيما يلي: (1)
- أ - قانون الأقوى law of the stronger القاضي بأن الصوتين المتجاورين في السياق يتبادلان فيما بينهما التأثير والتأثر، والأقوى هو الذي يتغلب في النهاية على الأضعف .
- ب - قانون الجهد الأقل أو الإقتصاد في الجهد principle of least effort or economy of effort ويهدف هذا القانون إلى تحقيق حد أدنى من الجهد والطاقة.
- أما القوانين الخاصة باللغة العربية فهي تلك المتعلقة بخصائص البنية المقطعية والنبر، وهذه القوانين الصوتية الخاصة منها العام وهي المسؤولة مسؤولية مباشرة عن كل ما يصيب الأصوات والصيغ العربية من تطور رغم أنها تعبر عن وقع في الماضي فإن لأحكامها صفة الإطلاق والعموم. (2)
- الهدف الذي من أجله وضعت القوانين الصوتية واضح كل الوضوح كونه ينصب بصورة عامة في الحفاظ على هوية اللغة. وإلى جانب تلك القوانين قوانين أخرى منها: (3)
- 1 - ينجم عن حركات الطبيعة أصوات متنوعة بتنوع تلك الحركات ويدرك الإنسان بعض ما يميز تلك الأصوات من بعضها... وتمتاز بدرجات للضخامة والفخامة واللين والامتداد والجهازة والخفوت التي تكون عليها... وقد تمتزج فئات من الأصوات فيتولد من تمازجها جملة صوتية قد تطول أو تقصر .
- 2 - تميل الأصوات العربية في مجاورتها إلى الانسجام في صفتي الشدة والرخاوة، فإذا تجاوز صوتان أحدهما شديد والآخر رخو لين يصعب أن تتغير صفة أحدهما ، ليصبح الصوتان شديدين رخوين كإدغام الذال في الدال في مثل " ولقد ذرأنا "...
- إن اللغة العربية بحكم الخصائص التي تحكمها دون غيرها من اللغات ألزمت علماء اللغة بالبحث عن قوانين صارمة ومحكمة بإمكانها الحفاظ على هذه الخصائص وجعلها تحت السيطرة حتى يتسنى لأصحابها الإطلاع على جملة التغيرات التي مستها مدة طويلة من الزمن.

1 - فوزي حسن الشايب - أثر القوانين الصوتية في بناء الكلمة العربية - ص 61.

2 - أنظر : المرجع نفسه - ص - 61.

3 - أنظر : إبراهيم أنيس - الأصوات اللغوية - ص 165- 176.

3 - الإنسجام بين صوت الفم وصوت الأنف إذا التقيا، فالتقاء الباء بالميم أو الميم بالباء. يغلب أن ينتج لنا إما بائين كقولنا: " إركب معنا" أو ميمين وهذه الحالة لم يعترف بها القراء، فقد أوجبوا إخفاء الميم مع الباء فقط وحذروا من إدغامها فيها رغم وجودها في بعض لهجات الكلام إذ نسمع بعض الناس يقولون: في " امبارح " " ابارح ".(1)

يبدو أن إدغام الباء في الميم أمر مستساغ لا ضير فيه إذ إن الإنسان عادة حينما تصادفه ألفاظ تسبق الباء فيها الميم فإنها لا نجد أو بالأحرى نسمع صدى لتلك الباء وكل ما نسمعه صوت الميم، لكن ذلك لا ينطبق على الألفاظ أو الجمل التي تسبق فيها الميم الباء فنلمس أن إدغام الميم في الباء غير مستساغ تماما بالنسبة للأذن. وقد يكون هذا أهم سبب إلى جانب أسباب أخرى صوتية ربما في عامتها ما جعل علماء اللغة يرفضون حالة إدغام الميم في الباء.

4 - قد يستلزم الإنسجام بين الأصوات المتجاورة ، والإقتصاد في المجهود العضلي حين النطق بها انتقال مخرج أحدهما من مكانه . والمخارج الصوتية الكبرى التي يحدث بينها الانتقال هي : (2)

أ - أصوات شفوية كالميم والباء والفاء.

ب - أصوات لسانية وهذه يمكن تقسيمها إلى ثلاثة أقسام:

- المجموعة الكبرى وأفرادها: الذال، الثاء، الظاء، الدال ، الضاد ، التاء ، الطاء ، اللام ، النون، الراء، الزاي ، السين ، الصاد.

- أصوات وسط حنك وهي الجيم والشين.

- أصوات أقصى الحنك وهي القاف والكاف.

ج - أصوات حلقية وهي : الغين ، العين ، الحاء ، الهاء ، الهمزة.

1 - المرجع السابق - ص 165-176.

2 - أنظر : المرجع نفسه - ص 176.

القسم الأول هو الأصوات الشفوية ، في حين يمثل القسم الثاني الأصوات الحلقية لا ينتقل صوت من أصواتهما إلى مخرج آخر، ولكن ينتقل غيرها إليها وعليه تكاد تنحصر عملية انتقال الأصوات من مخرجها في الأصوات اللسانية ، فمنها قد تنتقل الثاء إلى مخرج الفاء كما في " جدث = جدف " وهذا النوع من الانتقال يمكن أن يسمى بالانتقال الأمامي. هذا وقد ينتقل بعض أفراد هذه الأصوات اللسانية انتقالا خلفيا أي إلى الأصوات الحلقية وهو ما حدث في تطور القاف العربية إلى همزة في لغة الكلام المصري.(1)

المقصود بالانتقال الأمامي هو انتقال حرف من مخرج متأخر إلى آخر قبله إلى الأمام، فنحن نلاحظ أن حرف الثاء يأتي بعد حرف الفاء إنطلاقا من الشفتين ليأخذ مكانه في بعض الألفاظ العربية. والأمر نفسه فيما يتعلق بالانتقال الخلفي لكن بالعكس حيث نلاحظ تأخر بعض الحروف عن مخرجها الأصلية بعد تطورها أو تحولها إلى أصوات أخرى مختلفة عنها لتحل محلها في بعض الألفاظ العربية أيضا ذلك في اللهجات العامية، وبالتالي تتأثر العربية الفصحى بذلك كما حدث في الجنوب الجزائري على سبيل المثال.

ولن يكون هناك دليل أفضل من القرآن الكريم ليبين لنا مظاهر هذا الانتقال أماميا كان أم خلفيا، ومن أمثلة الانتقال الأمامي " إدغام الجيم في التاء" من قوله تعالى "ذِي الْمَعَارِجِ تَعْرُجُ" سورة المعارج الآيتين 3 و2 . وهو نادر مستقبج عند جمهور القراء كما روي عن بعض علماء اللغة، ولكن ما يمكن أن يبرر هو كسرة الجيم كونها صوت لين أمامي مما دعاها إلى جذب الساكن إلى الأمام لينتقل مع الكسرة إلى أول اللسان الذي هو مخرجها أيضا."(2)

أما بالنسبة لما سمي بالانتقال الخلفي فيمكن أن نتبين ذلك دائما بأمثلة من القرآن الكريم أيضا، " حيث تتجسد ظاهرة الإدغام وعلى حسب ما حدده الرواة فهي سبعة تشتمل على ظاهرة انتقال الصوت من مخرجه الأصلي و الانتقال فيها جميعا خلفي بتحول أصوات المجموعة الكبرى إلى أصوات وسط الحنك والأمثلة منها:(3)

(1) نَضِجَتْ جُلُودُهُمْ، سورة النساء الآية 56 (٢) بَارَبَعَةَ شُهَدَاءَ، سورة النور الآية 4 (٢) حَيْثُ شِئْتُمَا ،سورة البقرة الآية 25 (٤) وَاشْتَعَلَ الرَّأْسُ شَيْبًا ،سورة مريم الآية 4 (٥) لَقَدْ جَاءَكُمْ ،سورة التوبة الآية 129 (٦) قَدْ شَغَفَهَا حُبًّا ، سورة يوسف الآية 30 ...

1 - إبراهيم أنيس - الأصوات اللغوية - ص 177.

2 - المرجع نفسه - ص 178.

3 - المرجع نفسه - ص 178.

والإنتقال في الأمثلة الأربعة الأولى ، يمكن أن يبرره وجود " الضم " الذي هو صوت لين خلفي يميل إلى جذب الصوت الساكن معه إلى الخلف ، فكل من " الجيم " في جُلُودُهُمْ و " الشين " في " شَهْدَاء " ، والثاء في " حَيْثُ " ، و " السين " في " الرَّأْس " صوت ساكن مشكل بالضم. أما الانتقال الخلفي في الأمثلة الثلاثة فيعد من الناحية الصوتية ظاهرة غريبة⁽¹⁾.

يبين هذا الشرح سبب جعل هذه الآيات السبع مثال ظاهرة النبر الواضح والبين الذي يسقط على باقي ما يقابلها من مفردات العربية الفصحى وفق ما يناسبها من تفسيرات لطبيعة النبر في كل آية من حيث الحركات ، ومن حيث الحروف أو الأصوات في حد ذاتها.

وقد لا حظ المحدثون في دراستهم للأصوات أن لانتقال موضع النبر في الكلمة أثرا بينا فيما قد يصيب أصواتها من تطور. واستقصاءه في اللغة العربية يكمن في معرفة ما أصابها من سقوط حركات الإعراب في لهجات الكلام، إذ أن موضع النبر في الكثرة الغالبة من كلمات اللغة العربية هو المقطع الذي قبل الأخير، ففي " يكتب " مثلا يكمن النبر في المقطع "ت" أو كلمة " مستفهم " فإن النبر في المقطع " هـ ".⁽²⁾

لكن الذي حدث في لهجات الكلام العربي أن النبر قد انتقل إلى المقطع الذي قبله ، إذ أصبح في الكلمتين السابقتين مثلا في " يكتب " على " يك " أما " مستفهم فصار النبر فيها على مقطع " ت " ، وبالتالي سقطت حركات الإعراب .⁽³⁾

و قد يكون لتأثر العربي بكيفيات النطق في لهجته التي يتواصل بها بشكل دائم في حياته اليومية أكثر من اللغة العربية الفصحى سبب في ترسيخ صورة النبر الخاطئة على أصوات مفردات اللغة العربية الفصيحة ، خاصة مع تأثره باللغات الأجنبية الأخرى التي بنت طريقة وقوفه على الألفاظ بشكل معين مما جعله يوازي انتقال النبر بين اللغتين ، أو أن تأثره بكيفيات كلامية أو نطقية كثيرة سبب هذا الخلط الكبير الذي يعد خطأ فادحا في حق اللغة العربية إذ أنه يؤدي إلى ضياع أهم السمات التي تميزها عن غيرها من اللغات ، وترجح كفة تفوقها عليها وبالتالي فإن الأمر يحول دون تحقيق وترسيخ تلك القواعد العامة.

¹ - المرجع السابق - ص 179.

² - المرجع نفسه - ص 180.

³ - المرجع نفسه - 180.

إلى جانب هذه القوانين هناك قوانين أخرى وضعها العلماء حينما انشغلوا بدراسة اللغات وعرفوا التغيرات التي أصابتها فعمدوا إلى ترسيخ جملة من النقاط التي يقفون من خلالها على مسك زمام الأمور الصوتية وتبيانها للعيان .

وهذه القوانين هي :

- قانون غريم "grimm" المتعلق بالإبدال المباشر في الصوامت الجرمانية .(1)

- قانون هويتني "whitney" الذي يقضي بأن كل ما نكتشفه من تطور في اللغة ليس إلا أمثلة في توفير المجهود الذي يبذل في النطق وهو القانون المعروف بقانون السهولة واليسر.

- قانون المماثلة "assimilation" الذي يعالج تأثر الأصوات المجاورة في الكلمات والجمل ، وميلها إلى الإتفاق في المخارج والصفات نزوعا إلى الإنسجام الصوتي واقتصادا في الجهد الذي يبذله المتكلم . فالمعروف أن أصوات اللغة تختلف فيما بينها في المخرج ، الشدة و الرخاوة ، الجهر والهمس ، التفخيم والترقيق... وإذا التقى في الكلام صوتان من مخرج واحد أو من مخرجين متقاربين ، وكان أحدهما مجهورا والآخر مهموسا مثلا حدث بينهما شد وجذب حيث يحاول كل واحد منهما جذب الآخر إليه نتيجة ما بينهما من مماثلة في الصفات كلها أو بعضها.

- قانون المخالفة "dissimilation" عكس المماثلة وهو يهدف إلى تعديل الصوت الموجود في الكلام لزيادة مدى الخلاف بين الصوتين المعنيين بالغاية التي وجد من أجلها قانون المخالفة.(2)

لقد أدرجنا سالفًا قانوني المماثلة و المخالفة ضمن مظاهر التداخل الصوتي في اللغة العربية الفصحى ، وها نحن ندرجها ضمن القوانين الصوتية التي وجدت من أجل الحفاظ على خصائص اللغة ، وفي الأصل أن هناك خلاف بين العلماء حول طبيعتها أهي من الظواهر الصوتية ، أو من القوانين الصوتية ؟ فانقسم علماء اللغة بذلك إلى فريقين رافض ومؤيد بين كل منهما حسب ما وقفنا عليه في أثناء البحث.

1 - جوزيف فندريس - اللغة - ص 71.

2 - إبراهيم أنيس - الأصوات اللغوية - ص 69 - 84.

الفصل الثاني أسباب التداخل الصوتي في اللغات واللهجة

ما يلاحظ في جملة من هذه القوانين التي وضعت لهدف مشترك باختلاف التسميات والمبادئ التي بنيت عليها أنها اعتبرت مظاهر من مظاهر التداخل الصوتي في اللغة العربية الفصحى ، وفي الوقت نفسه هي عبارة عن قانون يحمي اللغة من الوقوع في شرك كل ما يهددها بالضياح و الخروج عن الصورة العامة التي عهدت بها ، وفي المقابل هي من تحدد الشروط الأساسية التي تقيد تلك التغيرات التي تطرأ على مستوى الأصوات اللغوية وتتحكم في كل ما يصيبها من تبدلات وتحولات وفق مبدأ شامل يحد من تفاقمها وخروجها عن السيطرة. ولولا تلك القوانين لفقدت أصوات اللغة العربية صفاتها ومخرجها و ضاعت هويتها ولم يعرف للتغيرات التي تصيبها سبب يذكر خاصة مع مرور كل تلك الحقب الزمنية الكثيرة التي تراكمت من خلالها التطورات الصوتية لتشكل كومة متلاصقة يصعب فكها إن لم تستخدم لذلك الوسائل المناسبة و الحلول الناجعة.

3-انعكاسات التداخل الصوتي بين العامية والفصحى على اللغة العربية الفصحى

تعتبر لفظة تغير، كما تبدو عليه بشكل عام ، عن الإنتقال من حال إلى حال أخرى ، أو التحول من شيء مألوف و معتاد إلى آخر مختلف عنه أو معاكس له ، فنحن حينما نسمع بكلمة التغيير الصوتي أو كلمات أخرى تصب في نفس معناها على نحو التحولات الصوتية أو التبدلات الصوتية ، أو كمعنى قريب التداخل الصوتي فإننا ندرك أن هناك ظواهر صوتية خارجة عن مألوف اللغة العربية شابتها وكادت تقضي على سماتها التي انفردت بها لوحدها دون سواها من اللغات ، وحسب ما تطرقنا له للوقوف على طبيعة المصطلح ، و مفهومه ومظاهره و أسبابه وقوانينه...كان لابد من معرفة تلك الآثار التي انعكست جليا على اللغة بشكل مباشر، وعليه يطرح السؤال الآتي : ما هو أثر التغيرات الصوتية على اللغة العربية وقواعدها ؟

لقد تنبه علماء اللغة العربية لواقع عدد من الأصوات التي لم تكن تجري على ألسن الفصحاء في لغة الأدب ، فرأوا أنها أصواتا غير مستحسنة كما تنبهوا لوجود أصوات أخرى غير شائعة في لغة الأدب فقد كانت في المقابل شائعة في قبائل فصيحة غير مختلطة بأخرى غيرها حتى يشهد لها باختلاطها بغير ما هو موجود فيها ، مما أجاز لهم استعمالها في اللغة الأدبية و أتاح لها فرصة الذبوع. بل أكثر من ذلك فقد أجازوا حتى قراءة القرآن بها ، لمجيء الروايات بذلك.(1)

ربما هذه الإجازة في حق اللغة العربية و إن كانت في عصر الإستشهاد قد رسخت في عقول الناس إعتماد أصوات لهجات أخرى غيرها في اللغة الفصيحة فأجازوا التواصل بها بعدما استصاغوا طراوتها وسهولتها.

وتأكيدا لذلك فقد ذكر "سيبويه" عدد أصوات العربية الأدبية ثم قال : "...وتكون خمسة وثلاثين حرفا بحروف هن فروع ، و أصلها من التسعة والعشرين ، وهي كثيرة يؤخذ بها ، وتستحسن في قراءة القرآن والأشعار ، وهي : النون الخفيفة ن والهمزة التي بَيْنَ بَيْنَ ، والألف التي تمال إمالة شديدة ، والشين التي كالجيم ، والصاد التي كالزاي و ألف التفخيم ، يعني بلغة أهل الحجاز في قولهم الصلاة والزكاة والحياة .(2)

1 - حسام سعيد النعيمي - أصوات اللغة العربية بين الثبات والتحول - ص 44.

2 - سيبويه - الكتاب كتاب سيبويه - ج 4 - ص 432.

يشير قول "سيبويه" عن عدد الأصوات العربية إلى حصر مجموعة الأصوات التي استعيرت من القبائل العربية الفصيحة التي لم تختلط بغيرها والتي اعتد بها في روايات القرآن الكريم المتعددة لاعتبارات أساسها طرق نطق حروف القرآن الكريم .

وقد أقيمت مجموعة من القواعد التي تحدد طريقة النطق الصحيح لحروف اللغة العربية في القرآن الكريم منها : (1)

١ - قوة الصلة بين اللهجات العربية والقراءات القرآنية ، حيث كانت القراءات تيسيرا على القبائل المختلفة في عاداتها النطقية ويؤكد هذه الحقيقة حديث رسول الله - صلى الله عليه وسلم - " إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ أُنْزِلَ عَلَى سَبْعَةِ أَحْرَفٍ ، فَأَيُّ ذَلِكَ قَرَأْتُمْ أَصَبْتُمْ ، فَلَا تُمَارُوا."

٢ - أوثق شاهد هي القراءات القرآنية المشهور منها والشاذ ، والتي تعبر عن الواقع الحي للظواهر الصوتية والنحوية للهجات العربية فمثلا قوله تعالى : **فَنَظَرَةً إِلَى مَيْسَرَةٍ** . سورة البقرة الآية 280. فقد قرأ الجمهور (نَظَرَةً) بكسر الظاء ، وهي لغة قريش. وقرأ مجاهد والضحاك (نَظَرَةً) بسكون الظاء وهي لغة تميم.

ويضيف "سيبويه" إلى جانب ذلك قوله : " وتكون اثنين و أربعين حرفا بحروف غير مستحسنة ولا كثيرة في لغة من ترتضى عربيته ولا تستحسن في قراءة القرآن ، ولا في الشعر ، وهي: الكاف التي بين الجيم والكاف ، والجيم التي كالكاف ، والجيم التي كالشين ، والضاد الضعيفة ، والصاد التي كالسين ، والطاء التي كالتاء ، والظاء التي كالتاء ، والباء التي كالفاء وهذه الحروف التي تمتها اثنين وأربعين ، جيدها ورديئها أصلها التسعة والعشرون ، لا تتبين إلا بالمشافهة." (2)

هذه الحروف أو الأصوات - المستقبحة - التي أشار إليها سيبويه هي تلك التي اختلفت اللهجات العربية منذ القديم في تداولها على الألسن أثناء معاملاتهم اللغوية اليومية حتى أثر ذلك على حروف اللغة العربية الفصيحة مما جعلها تخرج عن مألوف أصواتها التي عهدت بها وجاء كتاب الله ليؤكد تلك الخصائص والسمات.

١ - محمد محمد داوود - العربية وعلم اللغة الحديث - دار غريب للنشر والطباعة والتوزيع - القاهرة - دون سنة - ص 71.

٢ - سيبويه - الكتاب كتاب سيبويه - ج 4 - ص 432.

كان هذا الأمر في عصر بقيت الفصحى رائدة بكيانها ووجودها المنفرد، ولكن " بعد عصر الإستشهاد مضت العاميات في تحولها وفي محاولة إدخال بعض أصواتها على الفصحى وتفشى الأمر إلى درجة أن علماء التجويد حذروا من نطق عدد من الأصوات في قراءة القرآن... وقد أورد" الجاحظ " نماذج من هذا التحول ، عزى بعضه إلى عيوب اللسان أو للاختلاط ، أو لمحاولة غير أهل اللغة النطق بأصواتها فتأثر العرب بهم ... فنطقت السين ثاء ، والقاف طاء ، والجيم زايا ، والقاف كافا ، والذال دالا ، والطاء تاء..."(1)

ليس هذا وفقط فالأمثلة على هذا التحول في الواقع كثيرة ومتعددة فنرى اليوم أن الحرف الواحد من ضمن الأصوات اللغوية ينطق بأشكال متنوعة تتعدد بتعدد المنطقة ، فنسمع الثاء تارة سينا و أخرى تاء ، والطاء زايا أو ضادا ، والقاف كافا أو غينا أو جيما... وهكذا مما جعل الفصحى تدور في متاهات كبيرة لا يعرف لها بداية أو نهاية أو حتى سبيل للتمييز بين حرف و آخر للغريب عنها.

إن الإشكال في هذه التداخلات الصوتية العميقة و تأثيراتها الجلية تكمن أهميتها عند غير العرب الذين يعزمون تعلم العربية الفصحى عندما يتصادمون مع تلك التباينات الصوتية فيها من شكل لآخر مع جهلهم بتلك الأمور التفصيلية التي أشرنا إليها ، كما ستشكل هذه العادات الصوتية عائقا أمام تعلم الطفل للغة العربية الفصحى ، خاصة إذا كانت المنطقة الواحدة تقوم على عدة تباينات لغوية . فإن تقويم الأمر عند الكبار أمر صعب جدا وقد يكون مستحيلا ربما لأنها أصبحت جزءا من مكونه اللغوي وهويته اللغوية لكنه لن يكون كذلك عند الطفل إذا تداركنا الأمر من أوله مادام في بداية طريقه نحو التعلم ومادامت لغته طرية قابلة للنمو والتطور.

وفي هذا الصدد يتحدث " إبراهيم أنيس" عن أثر هذا الصراع اللغوي والعادات الصوتية على عملية اكتساب الطفل العربي للغات أخرى ، وقد ضرب لنا مثلا عن الطفل المصري و المشاكل الصوتية التي تعترضه أثناء اكتسابه اللغة الإنجليزية فيقول : " وللمصريين كسائر الأمم عادات لغوية خاصة بهم... كونتها لغة كلامنا ، التي لقنها الطفل في مراحل نموه ، وتكلم بها شابا فغلاما فرجلا . فهي اللغة التي تكلم بها سليقة ، وهي من أجل ذلك اللغة التي كونت في نطقه وفي كلامه تلك الصفات الكلامية التي يتميز بها المصري والتي جعلت له طابعا خاصا ، له أثره البين في تعلمه أية لغة من اللغات الأخرى."(2)

1 - الجاحظ - البيان والتبيين - ج1 - ص 34.

2 - إبراهيم أنيس - الأصوات اللغوية - ص 175.

ويواصل في معرض حديثه وتصوريه للمشكل الحاصل بقوله : " فتلاميذنا ينطقون اللغات الأجنبية بل حتى العربية الفصيحة أحيانا بعد أن يشكلوها بما يناسب عاداتهم الكلامية التي تأثروا بها في كل بيئاتهم ، حتى بين جدران المدرسة . والمدرس مصريا كان أم أجنبيا لا يفطن لسر أخطاء تلاميذه...حين نقارن العادات الصوتية في مصر بعادات اللغة الإنجليزية نجد أن الإنجليزية تشتمل على أصوات ساكنة ، لا نظائر لها في لغة كلامنا ، وتلك الأصوات الساكنة هي أول ما يعترض الطفل المصري من صعوبات في النطق ببعض الكلمات الإنجليزية." (1)

وبذلك فإن الطفل يعتمد في تلقي اللغة عن المحيطين به على حاسة السمع...ولا سيما تلك الأصوات المتقاربة في المخارج...وليس ذلك الأمر قاصرا على الطفل إذ يخطئ الشخص البالغ كذلك في السمع ، ويخلط بعض الأصوات بأصوات أخرى قريبة منها في المخرج . " (2)

إن اللهجة المصرية خصوصا - دون غيرها من اللهجات العربية - لها تأثير واضح على المتحدثين بها - جميع الفئات - فهم حينما يتحدثون باللغة العربية الفصحى لا يخفى على أي كان وإن كان لا يعرفهم أنهم مصريون ، إذ أن طريقة نطقهم للأصوات في لهجتهم ارتبطت بنطقهم لأصوات اللغة العربية الفصحى منها : صوت الجيم خصوصا الذي ينطق "ق" وعليه فإن الأمر لا يقتصر على الطفل المصري فقط بل يشمل الكبير أيضا متقفا كان أم غير مثقف.

و إضافة على ذلك : " لا شك أن دراسة عملية الكسب اللغوي عند الطفل بين نطق الرء واللام... يعطينا فكرة عن الصعوبات الطبيعية القائمة في اللغة وكيف تحاول الألسن تذليلها...فيتمرن الطفل الواحد على الإفصاح بها... وكل مهمته لا تمت إلى الخلق والإبداع بصلة. و إنما تنحصر في تقليد ما يسمعه من الكبار. (3)

يتضح أن الطفل هو الضحية الأولى في عملية التأثير بالتطورات اللغوية الحاصلة في كل مكان باعتباره صفحة بيضاء نكتب عليها ما شئنا ، وبالتالي فإنها ستصبغ على النحو الذي وجدت عليه مما سيقف عائقا أمام كل محاولات التغيير مستقبلا .

1 - أنظر : المرجع السابق - ص 187.

2 - رمضان عبد التواب - لحن العامة والتطور اللغوي - ص 41.

3 - حسن ظاها - اللسان والإنسان (مدخل إلى معرفة اللغة) دار القلم - دمشق - والدار الشامية - بيروت - ط2 - 1990م - ص 22 - 23.

إلى جانب تأثيرات أخرى عامة تتعلق باللغة عموماً يضيف دي سوسير: "كسر قواعد اللغة ، نحو تركيب الكلمة ، التداول وهو أكثر القواعد شيوعاً وأكبرها عدداً بين الحقائق التي تقوم فيها التغيرات الصوتية بدور هام . والتداول في معناه هو التطابق الموجود بين صوتين معينين أو مجموعة من الأصوات والتغيير المنتظم الذي يقع بين مجموعتين من الأشكال الموجودة معاً." (1)

إن النحو باعتباره القانون اللغوي الذي يحفظ لكل لغة ما خصائصها ويصون قواعدها لهو العمود الأساس الذي تعرف به أحوال اللغة لأنه حينما وضع أول مرة بني على جانب القوة فيها ، فإنه يعود الدارس وعليه يقيم الحجة ويقطع الشك باليقين وإذا ما أصابه تغيير أو تأثر بالظروف التي مست اللغة التي وجد من أجلها فإن النتائج و عواقب ذلك ستكون جد وخيمة على الأجيال القادمة خاصة لأنه إن لم يتم تدارك الأمر في وقت محدد و بسبل ناجعة ومجدية خرج الأمر عن السيطرة ، والنحو العربي أو القواعد العربية الذي ظهر في وقت دعت الحاجة إليه نتيجة لما تفشى فيها من لحن أصبح بالنسبة للغة العربية الفصحى بمثابة الملح للطعام الذي لا يستساغ إلا به ، ولولاه لما شقت العربية طريقها نحو البقاء بعد الراعي الأول وهو القرآن الكريم في ظل تلك التغيرات الصوتية الكثيرة التي أصابت أصواتها.

و منذ وجود اللغات و بناء كلماتها على نمط معين صبغت عليه الأمم وتداولت عليه بعدما تواضع أهلها على أصواتها وحروفها وشكلوا كلماتها في قالب معين سار عليه الأجداد و الآباء والأبناء من بعدهم وهكذا في دائرة متواصلة... إلى أن جاءت موجة التغيير التي شملت اللغة بما فيها من أصوات انعكست مباشرة على مفرداتها و غيرت طبيعة تركيب حروفها من جزء لآخر إلى غيره بالتدريج حتى تطمس معالمها وتتلاشى لتصبغ بطابع آخر مختلف تماماً عن الذي عهدته الأمم الناطقة بها منذ أمد بعيد وتصل بحلتها الجديدة إلى أفواه الأجيال المتأخرة.

¹ - أنظر : فرديناند دي سوسير - علم اللغة العام - ص 176 - 180.

إن الصراع القائم بين اللغات واللهجات أو ذلك التداخل - إن صح القول - خاصة الذي شمل الجانب الصوتي منها كانت له آثار كثيرة ومتنوعة بتنوع واختلاف أشكال وصور تلك التغيرات الصوتية " وهذا الصراع الذي اختلفت ضروبه وظروفه ، لا يحقق انتصار اللغة الغالبة على اللغة المقهورة دفعة واحدة...إلا إذا تشابه المغلوبون مع الغالبين في عدم الحضارة ، وبذلك يكون النصر للأكثرين عددا..."(1)

ذلك الصراع اللغوي الذي كان له كبير الأثر في تفشي التغيرات الصوتية هو نتيجة لمحاولة إبراز الأقوى ، إذ أن كل لهجة أو لغة كانت تحاول إبراز ذاتها من خلال إثبات تعدد خصائصها وقدرتها على البقاء والصمود طويلا في وجه الزمن على ألسنة الناطقين بها ، وبالتالي فإن اللغة التي تستطيع جلب أكبر عدد من المناصرين لها تحقق غايتها المنشودة في طول البقاء.

ونضرب المثال هنا - بطبيعة الحال - باللغة العربية و اللهجات العامية التين حدث بينهما كما رأينا تداخل كبير جدا غُزي إلى أسباب عدة . وحتى تنتصر إحداها على الأخرى لابد من مراحل ثلاث هي :

1- المرحلة الأولى / حيث تقذف اللغة المغلوبة من طرف اللغة الغالبة بطائفة من مفرداتها لم يألفها المغلوبون ولم يرتقوا إلى مستواها، ومثال تلك الألفاظ أسماء المخترعات والآلات و العادات المخالفة ، التقاليد الرسمية والشعبية ، مصطلحات العلوم ، ألفاظ الحضارة ، وبذلك يضعف المتن الأصلي للغة المغلوبة ويتجرد من كثير من مقوماته. ولكن بالمقابل تظل اللغة المغلوبة محتفظة في تلك المرحلة بقواعدها ، ومخارج حروفها ، وأساليب نطقها للكلمات...فيصرف أهلها عباراتهم وفقا لقواعدهم التنظيمية والصرفية وينطقون بألفاظهم الأصلية وما انتقل إليها من ألفاظ دخيلة طبقا لأسلوبهم الصوتي ، ومخارج حروفهم ، حتى إنهم يستبدلون في الكلمات الدخيلة بالحروف التي لا يوجد لها نظير لديهم حروفا قريبة منها من حروف لغتهم .(2)

1 - عبد الصبور شاهين - في علم اللغة العام - مؤسسة الرسالة للطباعة والنشر والتوزيع - بيروت - ط6 - 1993م - ص 209.

2 - المرجع نفسه - ص 210.

ولمظاهر هذه المرحلة في اللغة العربية صور كثيرة جدا منذ بدايات تأثر اللغة العربية الفصحى بغيرها من اللغات حتى قبل نزول القرآن الكريم بدليل احتواءه على مفردات ليست من صلب اللغة العربية ذاتها منها على سبيل المثال سُنْدُس ، اسْتَبْرَق ، الْفِرْدَوْس... ليثبت أن كلام الله تعالى جاء لينشر المساواة بين البشر في شتى مجالات الحياة ، وأنه صالح لكل زمان ومكان حتى الأزمنة الغابرة التي تحدث عنها ليطلعنا على حياة الأمم والحضارات المندثرة. والأمر نفسه عندما تأثر العرب بعلوم غيرهم من الحضارات فاحتاجوا إلى تصنيف مصطلحات خاصة بكل علم سواء أكان ذلك عن طريق الترجمة الحرفية بأصوات عربية ، أم من خلال تكييفها وإخضاعها لقواعد اللغة العربية الفصحى ونحوها ، أم استبدالها بحروف أخرى ملائمة لها لأسباب مختلفة... إلخ مما أتاحت الظروف المتوفرة لذلك.

2- المرحلة الثانية / فيها تتسرب إلى اللغة المغلوبة أصوات اللغة الغالبة ، ومخارج حروفها... فيتأثرون بها في جميع صفاتها بعد ألف طويل ، والمخالطة الدائمة بين المتكلمين باللغتين ، فيزداد بذلك اغتراف الناس من التقاليد النطقية الجديدة حتى يأتوا بها على وجهها الصحيح أو قريبا منه... فتتخل الخصائص اللغوية المستمدة وتحل محل النظام الصوتي الأصلي. (1)

وفي المقابل أيضا ستحاول اللغة المغلوبة التصدي لتلك النظم الدخيلة من خلال التشبث بقواعد تصريف الكلمات ، تركيب الجمل والحفاظ على العبارات المأثورة ، الأمثلة المحفوظة التي تحمل خلاصة تجارب القرون الأولى و تعكس هويتها الضاربة جذورها في التاريخ ، ولكن بعد قرب فوات الأوان وسيطرة اللغة الغالبة التي تكون قد ألفت بظلالها على ألسنة الناطقين بها لتصبح شيئا فشيئا جزء من ممارساتهم اللغوية والصوتية.

3 - المرحلة الثالثة / في هذه المرحلة تنهار مقومات اللغة المغلوبة بشكل نهائي بعد المحاولة اليائسة لإنقاذ ما يمكن إنقاذه ، فيسقط معقل القواعد النحوية ، وبذلك يسدل الستار على فصل تاريخي من فصول الصراع اللغوي ، بين لغة منتصرة فرضت نفسها ، ولغة منهزمة انسحبت من المجال أو ماتت على ألسنة أصحابها و كادت تنقرض بشكل كلي. (2)

1 - أنظر : المرجع السابق - ص 210.

2 - أنظر : المرجع نفسه - ص 210.

تظهر هذه المرحلة التأثير النهائي باللغة الجديدة والاستسلام الكلي لهذا التأثير بعد أن تقطعت جميع السبل لإنقاذ ما يمكن إنقاذه من اللغة المغلوبة ، لكن بعد ماذا ؟ بعد أن انصهرت انصهارا تاما استحالت معه العودة إلى الصورة الأولى التي اختفت مع الرعيل الأول - الأجداد - و اغترف الجيل الجديد من اللغة الغالبة اغترافا عميقا لا يمكن أن تُسدَّ ثغراته بأي شكل من الأشكال.

وهناك حقيقة ما لا يمكننا إغفالها لنضيق بذلك حق اللغة المغلوبة إذ أنها بدورها تبقى شيئا من خصائصها ولا تنصاع كل الإنصياح وتذوب كل الذوبان فيها بل هي الأخرى تؤثر في لغة أو لغات غيرها ، و حتى في اللغة الغالبة نفسها ، وأن تترك فيها شيئا من بصماتها ، فالمتكلمون الجدد للغة ما يتميزون في بعض الصفات النطقية التي لا شك سيمزجونها بصفات من لغتهم الأولى المنقرضة.(1)

في الأخير يمكن القول أن هذا المزج الذي يستحدثه هؤلاء المتكلمون الجدد باللغة الجديدة الغالبة دون تخطيط مسبق منهم ، بل بعفوية مطلقة نتيجة أسباب شتى هو في حد ذاته من سيشكل لنا لغة ثالثة بخصائص جديدة متنوعة حاله حال اللغات المتصارعة فيما بينها منذ أمد طويل ، ألا نرى اليوم مثلا أن الإنسان الأجنبي إذا تعلم اللغة العربية أضفى عليها خصائص لغته الأصلية. فالفرنسي مثلا إذا تعلم العربية أخذها بأصوات تناسب البيئة التي عاش فيها خاصة مع غياب بعض الأصوات في لغته وهي معروفة فلم ينطق بها يوما في حياته وبالتالي سيجد صعوبة كبيرة جدا في النطق بها و إن فعل سيكون ذلك ولكنه قريبة منها ، أو استبدالها بأصوات أخرى غيرها هي غريبة عن اللغة الجديدة من حيث كيفية نطقها. ثم بعدها دون شك سيؤثر بهذا الخليط الجديد من اللغتين في غيره ليظهر عنصر لغوي آخر لم يعرف من قبل بأصوات مختلفة تماما.

¹ - عبد الصبور شاهين - في علم اللغة العام - ص 211.

الفصل الثالث

دراسة ميدانية لتقصي ظاهرة التداخل الصوتي عند
سكان تمنراست

أ - وصف مظاهر التداخل الصوتي للحروف اللثوية عند سكان تمناست:

تختص منطقة تمناست ببعض الظواهر الصوتية التي إن لم نقل أنها كانت قد اكتسبتها في ظروف جيوسياسية واجتماعية معينة جعلتها تلتصق بها وتتداولها حتى أصبحت وكأنها اللغة العربية الفصحى الصحيحة في حد ذاتها ، بغض النظر عن كيفية ظهورها و تفشيها بين أوساط جميع الفئات والأعمار. ومختلف المستويات الاجتماعية.

فقد استفحلت هذه الظاهرة وتغلغلت في أعماق المنطقة على ألسن معظم الناس، وإن تركيزنا سيكون على تلك الحروف اللثوية الثلاث البارزة للعيان والمتجلية في : "الطاء الذال و الثاء" تحديدا وقد سميت باللثوية على نحو ما جاء به "سيبويه" بقوله: "ومما بين طرف اللسان و أطراف الثنايا مخرج الطاء والذال والطاء" (1) والطاء والطاء والذال أخوات الطاء والذال والطاء... لأنهن من حيز واحد ، وليس بينهن إلا ما بين طرف الثنايا و أصولها" (2)

إن غياب الصورة الحقيقية التي بنيت عليها هذه الأصوات أثناء النطق لم يقتصر على ظرف معين ، أو سن معين ، أو فئة معينة... بل الأمر أكبر من ذلك لأن الأدهى فيه أن معلم القرآن نفسه أسهم في تغلغل هذه الظاهرة حين علم طلبته القرآن بها . دون احترام لخصوصية ما يُعلم و الطريقة المثلى لتعليمه بالبحث عن أنجع الطرق لغرس قيمه في نفوس الناشئة ، ليس بالحفظ فقط بل بتجسيده على أرض الواقع قولاً باحترام معايير اللغة العربية الفصحى و عملاً بإطاعة أوامر الله عز وجل.

1 - سيبويه - الكتاب كتاب سيبويه - ج4 - ص 433.

2 - المرجع نفسه - ص 464.

الفصل الثالث

دراسة ميدانية لظاهرة التداخل الصوتي بين الفصحى والعامية - تمراست أنموذجاً -

هذه الأصوات الثلاثة فقدت خصوصياتها المعروفة لا سيما في ارتباطها بمفردات اللغة العربية، لما طرأ عليها اليوم من تغير في بعض اللهجات العربية "...فصارت الناء تاء، والذال دالا، والطاء دالا مطبقة أو ضادا... لأن الطاء مرت بمرحلتين هما أولا صارت ضادا فصيحة، ثم تحولت إلى دال مطبقة." (1)

حيث أن هذه الأصوات أصبحت تركز في نطقها بالمنطقة على ألسنة الناطقين بالفصحى على قواعد ليست من صفاتها ومغايرة تماما لها. وكمثال حي للحجة والبرهان ، حاولنا أن نقف على جملة من الألفاظ أو المصوتات العربية الفصحى والتي تحتوي على هذه الأحرف الثلاثة الشائعة عند جميع أفراد المنطقة، خصوصا المتعلمين منهم و بكل مستويات (الابتدائي، المتوسط والثانوي) فاعتمدنا تحديدا على المفردات التي تمس مكونهم القائم على جوانب حياتية مختلفة منها: الديني و الاجتماعي والثقافي.

أولا/ قمنا بجمع مجموعة من الألفاظ التي تحتوي على حرف "الهاء" شرط أن تكون كما سلف الذكر مألوفة ومتداولة عند الفئات المختارة، سواء في استعمالاتهم اليومية في المنزل أو كانوا قد تلقوا أخذها في المدرسة أم تعلموها في الكتاب أم المساجد .

1 - ينظر: حسام سعيد النعيمي - أصوات اللغة العربية بين الثبات والتحول - ص54.

1- حرف التاء:

كانت "التاء" في المفردات المختارة مختلفة الموقع في أول ووسط و آخر الكلمة تتضمن اختلاف نطقها باختلاف موقعها من الجملة وهذا الجانب له وجه وحق من الإلتباه والعناية أيضا.

1-1. الكلمات التي تبدأ بحرف التاء:

" ثم، ثلث، ثلاثة، ثلاثة، ثياب، ثوب، ثوم، ثرثار..."، والتاء في جميع هذه الكلمات لها طريقتان في النطق إما:

*أن تنطق مباشرة "تاء" فتصبح:

" تم، تلت، ثلاثة، ثلاثة، ثياب، ثوب، ثوم، ثرثار..."

والملاحظ أن: "تم" تكون التاء فيها تاء مرققة جدا عن التاء العادية، أما في كلمات " تلت، ثلاثة، ثياب" فنجد أن التاء تنطق مفخمة عن التاء العادية قليلا تكاد تلحق بحرف الطاء ولكنها أخف منه قليلا أيضا وذلك عند جميع الفئات الناطقة بها تقريبا، وبالنسبة للكلمات المتبقية: "ثوم، ثرثار، ثلاثة" فنطقها يتم بالشكل الآتي :

__ كلمة ثوم: تنطق طاء مرققة في اللغة العربية الفصحى من خلال جعل اللسان بين الأسنان أو شبه العض عليه إن صح القول ليتولد ذلك الحرف أو بالأحرى إضفاء تلك الصفة بما شئنا أن نسميه طاءً مرققة أو تاءً تكاد تكون مفخمة بشكل ما، أما في العامية الدارجة تنطق تاء عادية بدل التاء والطاء. وكذلك الأمر نفسه بالنسبة للفظه "ثلاثة" ونحو نطق الحرف المقصود بها.

الفصل الثالث

دراسة ميدانية لظاهرة التداخل الصوتي بين الفصحى والعامية - تمرست أنموذجاً -

_ ثرثار: ينطقونها طاءً مباشرة رغم أنهم يكتبونها بالثاء صحيحة تارة وتارة أخرى بالثاء ولكنها تنطق طاء هكذا طرطار.

* أن تنطق "سينا" بدل التاء: فنجدهم ينطقونها سينا وهو الغالب على سكان المنطقة أكثر من نطقها بحرف التاء، ربما لأن معظم كلمات الدارجة بها سين وحتى أنهم في طريقة نطقهم لها - أي حرف السين - نلاحظها تلفظ بقوة أكثر من اللازم حتى يسمع لها صوت صفير قوي ومدوي إذا كنت قريباً من المتحدث إلى درجة الفرع أو الإزعاج أحياناً.

إذن تنطق الكلمات الثلاث كما رأينا أنفاً: "ثم، ثلث، ثلاثة، ثياب، ثوب، ثرثار، ثلاثة...." بتلك الكيفيات المختلفة تارة بشكل وتارة أخرى بشكل آخر.

نعود إلى هذه الكلمات مرة أخرى: "سم، سلس، سلاسة، سياب، سوب، سلاجة" ولكن الثاء في كلمة "ثرثار" تنطق صاداً بمعنى "صرصار".

ما نلاحظه في هذه الكلمات إن لم نقل كلها فبعض منها له معنيان: صحيح أن أبناء المنطقة يفهمون عن بعضهم بعض المعنى الأصلي المقصود. لكن الغريب عنها أي - عن المنطقة - يفهمها بمعنى آخر غير الذي وضعت له من خلال الطريقة التي نطقت بها لكونه يجهل الأمر. فنحن عندما نقول:

سمّ: فهي إما تكون السين مبدلة عن الثاء أو هي السم ذلك الشراب القاتل.

سُلس: قد يفهم أنها تعويض لكلمة "ثُلث" وهو المعنى الأصلي الأول، أو صفة تطلق على شيء ما يسير و بسيط أو رطب ناعم مجراه أو طبيعته و غير ذلك عندما ندعوه بالسلس من السلاسة.

الفصل الثالث

دراسة ميدانية لظاهرة التداخل الصوتي بين الفصحى والعامية - تمراست أنموذجا -

وكذلك سياب: بمعنى ما كان ملمسه ناعم أو حرير أو هي انزلاق أو إبدال وتعويض للتاء بالسين الموجودة في كلمة "ثياب".

صرصار مثلا: أيضا هي لفظة دالة على نوع من الحشرات الليلية ، فكيف يفهم من سمعها على هذا النحو أن المقصود منها من كان كثير الكلام المدعو بالثرثار، والأغلبية الساحقة تنطق هذه الكلمة بالصاد.

1-2- الكلمات التي يتوسطها حرف التاء: (بين أسماء وأفعال).

" مثل، مثال، كثيرا، كثرة، كتبان، مدثر، الإيثار، بعثر "

ما يلاحظ في هذه الكلمات أثناء نطقها سواء بالتاء أم السين، أن سكان المنطقة الذين قدموا من ولايات أخرى أو قطنوا فيها اكتسبوا هذه الطريقة في النطق أي أن معظمهم تأثروا بالظاهرة إن لم نقل بعضهم .

نذكر بالخصوص القادمون من ولاية أدرار "أولف" تحديدا ،أن سكانها ينطقون هذه الكلمات بالتاء المفخمة قليلا عن المعتاد ربما لطبيعة لهجة المنطقة و أهل الجنوب باللهجة التواتية لتمييزها بطريقة نطقها لحرف التاء أو صوت التاء، فعند سماعها نلاحظ أنها لا تكاد تخرج عن كيفية نطق حرف التاء الأصلي، ولا تبعد كثيرا عنها كما أنها تحمل بعض خصائص "الطاء" والمتفق عليها أنها تاء مفخمة فقط يقومون بنطقها هكذا: " متال، متل، كتيرة ، كثرة، كتبان ، مُدثر، إيطار، الطار". فنحن حينما ننطق التاء بشكل عادي يتراجع اللسان إلى الورا قليلا، ولكن التاء المستبدلة كما وصفناها أنفا بجعل اللسان بين مقدمتي الأسنان.

الفصل الثالث

دراسة ميدانية لظاهرة التداخل الصوتي بين الفصحى والعامية - تمناست أنموذجا -

_ في الكلمات التالية : "مثال، مثل، كثيرا، كثرة، كثنان، مذر" ينطقها القاطنون بالمنطقة والذين ليسوا منها أصلا ثاء بالصفات التي أوردناها سابقا. فأخذها عنهم سكان المنطقة الأصليون و تأثروا بهم حتى أصبحوا ينطقونها في اللهجة العامية بطريقتهم ولم يقتصر ذلك على اللغة العربية الفصحى فحسب و إنما مست عامة الناس في المنطقة.

_ أما في الكلمات الأخرى :

" إيطار- الطار : نجد أنهم يستبدلون الثاء طاء بدل الحرف الأصلي، عندما تستبدل الثاء بالطاء خاصة في كلمة "إيطار" يتغير معناها بالنسبة للمخاطب إن كان يجهل السياق الذي قيلت فيه حيث قد يفهم أنها تعني المركز المهم في الدولة دون المعنى الأصلي وهي لفظة إيثار.

بالنسبة لمن ينطقون حرف سين بدل الثاء فهم الأغلبية، حيث تصبح بذلك الكلمات على النحو التالي:

" مسال، مسل، كسيرا، كسرة، كسبان رملية، مدرس" والفرق بين السين التي يستبدلون بها الثاء والسين العادية أن المُستبدلة تنطق أكثر رقة ودقة بحيث أنهم يضغطون على أسنانهم حينما ينطقونها إلى درجة يسمع فيها صفير قوي جدا قد يُقلق المستمع أحيانا.

1-3. الكلمات التي تنتهي بحرف الثاء:

نجد ضمن هذه الكلمات مثلا : " نفث، مؤنث، أنثى، مبنوث، غيث، حدث..."
فالأمر نفسه يتكرر، فهي تارة تنطق تارة تاءً بدل الثاء فتصبح : " نفت، مؤنت،
أنتى، مبنوت، الغيت، حدث..." ولكنه بشكل ضئيل إذا ما قارناها بعدد الذين
ينطقونها سينا: " نفس، مؤنس، أنسى، مبسوس، الغيس، حدس"، فالكلمة حين تكتب
تدل على شيء آخر، ولكن الناطق بها يفكر في معناها الأصلي.

فنلاحظ : " نفس = النفس، مؤنس والتي تطلق على يوم الخميس قديما، حدس:
فالمستمع إليها إن كان خارج المقام يعتبرها من الحدس أو الحاسة وهكذا... ونجد أن
نطقها "سينا" هو الغالب في المنطقة أيضا .

أردنا معرفة ما إذا كانت هذه الكيفية في النطق بحرف الثاء قديما موجودة أم لا
فعدنا إلى بعض الكتب التي تهتم بظاهرة تحول الأصوات اللغوية العربية منذ القدم
عبر مراحل مختلفة ، والذي حدث أنها شاعت كثيرا في لهجات عربية كما تناولتها
أحد الكتب ومما جاء فيها "...فقد التقطنا من اللسان مما يدخل تحت هذا الباب ألفاظ
منها : البحث الذي هو التفتيش يؤول إلى البحث وهو الصرف، والبث أي النشر
يصبح البت وهو القطع والمؤنث الذي هو عكس المذكر يصبح المؤنت بمعنى
الحسد، والتثريب أي اللؤم يؤول إلى التثريب وهو التلطix بالتراب والثثرة التي
هي التدفق في الكلام تلفظ التثرة وهي التحريك...والثور الحيوان المعروف،
والثور إناء يشرب فيه، وأثمر الرجل : كثر ماله، وأتمر : صار ذا تمر..."(1)
وهكذا.

¹ - حسام سعيد النعيمي - أصوات اللغة العربية بين الثبات والتحول - ص75.

الفصل الثالث

دراسة ميدانية لظاهرة التداخل الصوتي بين الفصحى والعامية - تمرست أنموذجا -

ثم يؤكد لنا أيضا أن من العرب من يجعل الثاء سينا. ولا سيما في مصر وبعض بلاد الشام فالمتقف في لفظه مسقف وثار سار... وحينما سألت ممثلة مصرية عن اسمها غير الفني قالت أنه لا يختلف عن اسمها الفني فهي سناء بالسين وليس بالثناء، مما يظهر إحساسها بالإضطراب الصوتي الحاصل بسبب الانتقال من الثاء إلى السين..."(1).

والمشكلة عند أفراد المنطقة أنهم دائما يسقطون الطريقة التي ينطقون بها الأصوات في اللهجة العامية في تعاملهم اليومي على أصوات اللغة العربية الفصحى و من الواضح أنهم لا يستطيعون بأي شكل من الأشكال التخلص منها ، وذلك يذكرونا بأبناء المناطق الذين يتحدثون اللغة الأمازيغية وتحديدا القبائلية حيث أنهم يضيفون حرف الغين في أواخر الكلمات حينما يتحدثون بالعربية ونسمع ذلك الصوت جليا في نبرتهم أثناء التواصل معهم.

ثانيا/ رصدنا من خلال تتبعنا لكلام سكان المنطقة أكثر الكلمات المتداولة والتي تحمل صوت الذال عند جميع الفئات محاولين انتقاء هذا الصوت في مواقع متنوعة من الكلمات لإظهار جملة من الفروقات.

2 - حرف الذال :

2-1 - الكلمات التي تبدأ بحرف الذال :

" ذبابة، ذكاء ، ذروة، ذرة، ذكر، ذكرى، ذبح، زعر، ذنب، ذيل..."، صوت "الذال له وجهان أيضا في النطق كما هو الحال في حرف الثاء. أثناء قراءتهم للكلمات التي تحمل هذا الصوت ، فبعض ينطقها دالا و بعض آخر ينطقها زايا.

¹ - أنظر : المرجع السابق - ص 55.

الفصل الثالث

دراسة ميدانية لظاهرة التداخل الصوتي بين الفصحى والعامية - تمراست أنموذجا -

وحيثما تُنطق دالا تصبح هكذا: " دبابة، دكاء، دروة، درة، دكر حكيم أو دكرى، دبح، دعر، دنب، ديل" فإن المتمعن في هذه الكلمات وخاصة الذي لا يعرف طبيعة المنطقة ، قد يعطيها معان أخرى يعكسها شكلها الكتابي بدل المعاني الأصلية التي يقصدها المتحدث .

فكلمة : "دبابة " مثلا إذا سمعناها ترتسم بالبال صورة تلك الأداة الحربية المدمرة لكل ما يدب فيه الحياة.

وكذلك هو الأمر بالنسبة لكلمة "درة" التي قد يفهم منها الزوجة الثانية، كما قد يفهم منها الاسم الذي يطلق على فتاة أو أنه مفرد لنوع من الأحجار الكريمة وهكذا...

و إذا وقفنا على طبيعة صوت حرف الدال المستبدل بالذال. فإننا نجده يأخذ صفات حرف (D) في اللغة الفرنسية تماما ، بدل صفات حرف الدال الأصلي العربي. بمعنى أن الدال جُرِّدت من الصفات التي تمتاز بها الدال المتعارف عليها وعوضت بصفات حرف لغة أخرى حتى أصبح جزءا لا يتجزأ منها دون سابق إنذار.

والملاحظ أن عدد الذين ينطقونها دالا قليل جدا ، بالمقارنة مع عدد الذين ينطقونها زايا أو زالا كما تسمى عند أهل المنطقة و هذا الذي نلاحظه ونسمعه باعتماد نفس الكلمات المختارة:

"زبابة ، زكي أو زكاء، زروة وزرة، زكر حكيم و زكرى..."وعليه إذا قارنا الزاي التي تنطق بدل الذال مع الزاي الأصلي فإن المستبدل بالذال يكون أكثر دقة و سلاسة على اللسان. و بوجه آخر أو بشكل عام تنطق زايا أو زالا كما يسميها المتحدثون به وهم الأغلبية.

2-2 - الكلمات التي يتوسطها حرف الذال :

من الألفاظ التي استقيناها وهي الأكثر استعمالا في كلام جميع فئات أهل المنطقة على اختلاف مستوياتهم العلمية والفكرية (متعلمين و غير المتعلمين أيضا). بحكم أن المتعلمين كانوا قد اكتسبوا من المحيط المدرسي. في حين نجد أن غير المتعلمين اكتسبوا من خلال سماعهم لقراءة القرآن خاصة سواء أكان هذا عبر المذيع أم عن أطفالهم الذين أخذوها خاطئة أم من خلال الكتاب و المساجد، وكذلك محو الأمية...

ونختار من الكلمات مثلا "مذيع و إذاعة ، تحذير و حذار، قذارة و قاذورات، آذان ومؤذن و أذن ،الكذب، نذير ومنذر، المعوذتين و الإستعاذة، حذاء، غداء، نذر، تبذير، عذرا و أعتذر، مذعور و جذور... إلخ"

إذن حينما ينطقونها "دالا" بدل الذال فإنها تصبح:

"مذيع، إذاعة، تحذير أوحذار، قذارة أو قاذورات، آدان و مؤذن ،الكذب ،نديرو منذر ، المعوذتين ، الإستعاذة ، حذاء ، غداء ، نذر و تبذير، عذرا، أعتذر ، مدعور،جذور... "

إن الكلمات التي يتوسطها حرف الذال هي أكثر من الكلمات التي تبدأ بالذال أو تنتهي به ، و بالتالي فإن الصفات التي يكتسبها تختلف قليلا عن صفات حرف الدال في نطق أهل المنطقة. وعليه فالكلمات تنطق كما يلي:

(مذيع، إذاعة ، تحذير و حذار) فإن الدال تنطق كما هي في الأصل مع صفاتها المعروفة بها وكذلك في الكلمتين (كوب، منذر) مع قليل من الضغط على مقدمة الأسنان إلى جعل اللسان تحت أطراف الثنايا العليا.

الفصل الثالث

دراسة ميدانية لظاهرة التداخل الصوتي بين الفصحى والعامية - تمر است أنموذجا -

أما في الكلمات الأخرى (قادرآت ، قدارة ، مؤدن ، مدعور ، جدور) فإنها في أصلها تنطق بالضاد بدل الدال، أو بتفخيم الدال أكثر حتى تقارب حرف الضاد مع بيان بعض الاختلاف بينهما حيث أن ضاد هذه الكلمات تبدو أقل جهرا واستطالة من أن يقصد بها الحرف الأصلي . فتبدو هكذا أثناء نطقها (قاضورات ، قضارة ، مضعور وجضور ... إلخ

وعند جميع الذين يستبدلون الذال في هذه الكلمات دالا، فإنهم يفخمون حرف الدال حتى يقلب ضادا أو دالا مع تفخيم .

أما الوجه الآخر لها فهو نطقها زايا لتصبح هكذا (مزياع، إزاعة ، تحزير، حزار، قزارة أو قازورات ، آزان و مؤزن أزن الكزب، نذير و منزر، المعوزتين، الإستعازة ، حزاء ، غزاء ، نذير، وتبذير، عزرا و أعتزر، مزعور، جزور...)

فإذا أردنا الوقوف على طبيعة حرف "الزاي" في كل كلمة و حاولنا إستظهار الفرق بين صوت "الزاي" في الكلمات هل سنجد اختلافا؟

في الكلمات الآتية : (مؤزن ، أزن ، كزب ، نذير ، منزر ، المعوزتين ، الإستعازة ، حزاء ، غزاء ، نذير ، عزرا وأعتزر...)

نجد أن حرف الزاي ينطق هنا كما ينطق عادة بجميع صفاته ، لكن بحدة أعلى نتيجة نطقها مدوية بشكل انفجاري كبير لأن سكان المنطقة حينما ينطقون هذه الحروف الثلاث خاصة "السين، الصاد، الزاي" بشكل جد قوي يغلب و يغطي على جميع الأصوات المرافقة لها، وفي كلمتي (مزعور، جزور) نلاحظ أن الزاي هنا تكون مفخمة جدا وكأنها مستبدلة عن حرف الظاء لا الذال.

2-3. الكلمات التي تنتهي بحرف الذال:

على نحو أستاذ، تلميذ، فخذ ، قنفذ، لماذا ، هكذا ،منبوذ...فإن الأمر نفسه من حيث كيفية النطق بها كما سبق وذكرنا.

أما حرف "الطاء" فإنه بدوره ينحو منحى آخر من حيث كيفية نطقه في جميع حالاته وعند كل الفئات والأعمار؛ الإمام ، المقرئ ،أو قارئ القرآن ،المعلم ، الأستاذ وحتى أستاذ الجامعة وفوق كل هذا التلميذ الذي لا مجال للتعليق عليه.

ومن الكلمات التي تتضمن حرف الطاء دائما انتقينا المفردات التي تشترك في نطقها جميع أفراد المنطقة بهذه الكيفية و على النحو المشار إليه و ذلك في مستواه الفصيح.

وتنطبق هذه القاعدة الصوتية على الكلمات التي تحمل حرف الطاء.

3- حرف الطاء :

1-3- الكلمات التي تبدأ بحرف الطاء:

" ظهر ،ظروف أو ظرف، ظلم و ظلام ،ظل ،ظفر و اظافر، ظمان، ظبي، ظاهرة، الظن و ظنون...

فإن لحرف الطاء صورة واحدة في النطق حيث أنها تستبدل تلقائيا بحرف الزاي عند جميع الناطقين بهذا الشكل مباشرة، و الاختلاف يكمن في طبيعة صفاتها، و مكانها في الجملة ،وحسب أصل الناطقين بها. فتصبح:

زهر، زروف أو زرف ،زلم و زلام ،زل، زفر و أزافر، زمان، زاهرة ، الزن و الزنون...

الفصل الثالث

دراسة ميدانية لظاهرة التداخل الصوتي بين الفصحى والعامية - تمراست أنموذجا -

الطاء في الكلمات التالية (زهر ، ظفر ، زنون ...) كمثال تنطق زايا كما هو عليه في الأصل حيث أن جميع صفاته تقريبا موجودة مع تفخيم بسيط جدا لها لا يبعده عن صفاته العامة .

لكن الاختلاف الذي نلمسه يتضح في الكلمات الآتية (ظالم وظلام ، ظل ، ظاهرة وظن ...) فأتناء نطقها بالكيفية المشار إليها نلاحظ مباشرة ذلك التفخيم و تلك القوة و الحدة في أتناء التلفظ بها و التي تكتسبها حينها. وكأنها تتشارك مع حرف ضاد في تلك المخارج أو المدارج خصوصا إذا كنا على علم بالميزة التي يختص بها حرف الضاد والذي نسبت اللغة العربية الفصحى له.

2-3- الكلمات التي يتوسطها حرف الطاء:

نذكر من بين الألفاظ المتداولة على ألسنة أهل المنطقة في هذا المجال(مظاهرة، نظارات، كاظم، مظهر، مظلة، النظر ،عظيم، عظام ،وظيفة...) وكذلك الأمر نفسه يتكرر في الكلمات التي تتوسطها الطاء فهي تنطق بالطريقة نفسها المذكورة آنفا أي بشكل مفخم فتصبح:

مزاخرة، نزارات ، كازم، مزهر، منزار، مِزلة، النزر، عزيم، عزام، وزيفة...

3-3- الكلمات التي تنتهي بحرف الطاء:

تنطق كلمات غيظ ، محفظة ، موعظة ، وعظ... زايا مع صفاتها المتعارف عليها.

وتأكيدا على هذا الوصف الذي خصصنا به طبيعة الصوت الذي يستبدل به الناطقون حرف الطاء خصوصا بمنطقتنا ونجد أن "سيبويه" قد درسها تحت ما أسماه ظاهرة المضارعة .

الفصل الثالث

دراسة ميدانية لظاهرة التداخل الصوتي بين الفصحى والعامية - تمراست أنموذجا -

إذا كان هذا الصوت الجديد ليس له رمز كتابي خاص به في اللغة العربية مثل الحرف الذي هو بين الصاد و الزاي.(1)

فإن " التغير بين الصوتين - الصاد و الزاي - يشبه الظاء العامية إلى حد كبير، مما يعني أننا أمام صورة صوتية من صور الزاي المفخمة . أما إذا كان الصوت الجديد له صفته المستقلة ورمزه الكتابي المعروف به فإننا نكون حينئذ أمام صورة من صور الإبدال . ونخلص من ذلك إلى أنه إذا كانت المماثلة تؤدي إلى صورة صوتية جديدة تسمى المضارعة . و إذا أدت إلى وحدة صوتية جديدة كنا أمام إبدال."(2)

و تأسيسا عليه فإن " سيبويه " يطلق على مصطلح المماثلة تسميات عدة منها مصطلح المضارعة وقد كانت من مظاهر التطور الصوتي لأصوات اللغة العربية في فترة دعت الضرورة إليها.

وقد أبدل العرب في كلامهم الظاء بأشبه الحروف بها ألا وهي الطاء " ليكون عملهما من وجه واحد ، ويكون أخف عليهم ويكون الإدغام فيه بحرف مثله إذ لم يجز البيان والإطباق ومن ذلك قولهم في : مظطن و مظطم إن شئت قلت : مطّعن و مطّلم وكما قالوا : يطنّ و يظطنّ من الظنّة".(3)

¹ - سيبويه - الكتاب - ج4- ص 478 - 479.

² - حامد بن أحمد الشنيري - النظام الصوتي للغة العربية - ص 66.

³ - سيبويه - الكتاب - ص 468- 469.

الفصل الثالث

دراسة ميدانية لظاهرة التداخل الصوتي بين الفصحى والعامية - تمناست أنموذجا -

من بين الأوجه التي عرف بها صوت الظاء هو حرف الضاد في اللغة العربية إلى جانب تلك الصور التي ينطق بها ، ووفق ما وقفنا عليه أن هذا التبادل لم يكن اعتباطيا أو صدفة ، فالأمر أبعد من ذلك يمتد إلى التراث العربي القديم كما هو حال أصوات أخرى من أصوات اللغة العربية الفصحى.

الفصل الثالث

دراسة ميدانية لظاهرة التداخل الصوتي بين الفصحى والعامية - تمراس أنمؤذا -

ب- دراسة ميدانية لتقصي ظاهرة التداخل الصوتي عند سكان منطقة - تمراس

استبانة موجهة للمعلمين في المدارس

سعيانا منا للبحث والوقوف على ظاهرة التغيرات الصوتية في اللغة العربية الفصحى والتداخل الصوتي بينها وبين اللغة العامية عند سكان الجنوب بمنطقة تمراس خصوصا. نءءكم للإسهام معنا من خلال إجابءكم عن هذه الأسئلة بوضع علامة (x) في الخانة الملائمة :

ا- التعرف على المسءوب :

الجنس : ذكر ☐ أنءى ☐

السن :

اا- الأسئلة :

أ- ءول طبيعة نطق الأصواء اللءوية و كيفية نطقها في المنطقة:

أ-1- هل نطق الحروف اللءوية " الءاء ، الءال و الءاء " نطقا صءىءا ءون الءباس؟

نعم ☐ أءىانا ☐ لا ☐

- إذا كانت الإجابة ب" لا " أو " أءىانا " فما الحروف المسءبءلة بها؟-----

أ-2- هل ءحرص على إصاءها صءىءة سليمة للمءعلم ؟

نعم ☐ أءىانا ☐ لا ☐

أ-3- هل يواجه المءعلم صعوبة في نطقها صءىءة في أثناء الدراسة ؟

كل المءعلمين ☐ بعضهم ☐ معظمهم ☐

- من هم ؟-----

الفصل الثالث

دراسة ميدانية لظاهرة التداخل الصوتي بين الفصحى والعامية - تمرست أنموذجا -

- هل هم من أهل المنطقة؟ أو من المتحدثين بلهجات أخرى مختلفة عنها؟-----

- رأي آخر:-----

ب)- أسباب التداخل الصوتي لدى أفراد المنطقة:

ب-1- ماهو سبب هذا التداخل في رأيك؟

أسباب جغرافية ☐ طبيعة أصوات المنطقة ☐ تداخل اللغات واللهجات المختلفة

☐

- أسباب أخرى:-----

ب-2- هل ترى أن للمختصين و المنظومة التربوية يدا في هذا الالتباس ؟

☐ لا

☐ نعم

- لماذا:-----

ب-3- هل لغياب المدارس القرآنية أثر في وجود هذه الظاهرة ؟

☐ لا

☐ نعم

ج)- الحلول و الاقتراحات المقدمة: للحد من هذه الظاهرة:

ج-1- هل حاولت يوما البحث عن حل ناجع لتجنب هذا التداخل لدى المتعلم؟

☐ لا

☐ أحيانا

☐ نعم

الفصل الثالث

دراسة ميدانية لظاهرة التداخل الصوتي بين الفصحى والعامية - تمرست أنموذجا -

- كيف ذلك إذا كانت إجابتك ب "نعم" أو "أحيانا"؟-----

- هل ترى حولا و اقتراحات أخرى؟-----

1- تحليل الإستبانة الموجهة للأساتذة والمعلمين :

و توضيحا للظاهرة الصوتية التي يشير إليها البحث ، إرتأينا توزيع عدد من الإستبانات للأساتذة والمعلمين في جميع الأطوار التعليمية الثلاث (الإبتدائي- المتوسط و الثانوي). وبلغ عدد العينة الذي مثل مجتمع الدراسة خمسون أستاذًا ومعلما وزعنا عليهم الإستبانة و قد تم استرجاعها كاملة بعد توزيعها. و للإشارة فقط فإن العينة المختارة هم أساتذة المواد الأدبية خصوصا و على رأسها الأدب و العلوم الإسلامية و الإجتماعيات لأن هذه المواد أكثر وثاقة وارتباطا باللغة العربية الفصحى .

وبعد التحليل توصلنا إلى ما يلي:

كان لابد من التعرف على المستجوب سواء أكان ذكرا أم أنثى، كما كنا في حاجة إلى معرفة سن المستجوب لأن لذلك بالتأكيد دور في طبيعة التداخل الصوتي إما بعامل الخبرة أو الوقت ، وقد تبين في تحديد المستجوب أن الفرق الواضح في شدة التأثير بهذا التداخل من طرف الإناث أو الذكور ،نتيجة لجملة من العوامل التي فرضتها طبيعة المنطقة الجنوبية أو طبيعة كل من الجنسين ومدى تأثير كل منهما بالعادات والتقاليد من جهة ، ومدى تفاعل كل منهما مع المحيط أو البيئة المعيشة واحتكاكهما مع أفراد المجتمع خصوصا الأجانب منهم. ولا يختلف اثنان على أن الذكور هم الأكثر اختلاطا بالأجناس المختلفة واطلاعا على ثقافتهم وبالتالي الأكثر تقليدا لهم من جميع النواحي ، بما فيها اللغة مهما اختلفت الدوافع التي يطغى عليها عامل التواصل ، دون أدنى شك ، بطريقتهم .

الفصل الثالث

دراسة ميدانية لظاهرة التداخل الصوتي بين الفصحى والعامية - تمراست أنموذجا -

وقد قسمنا الإستبانة إلى ثلاثة مستويات خُصّصت لمعرفة طبيعة كيفية نطق الحروف اللثوية في المنطقة ، في حين عني الثاني برصد أهم أسباب هذا التداخل الصوتي عند أفراد المنطقة دائما، أما المحور الأخير فقد تضمن الحلول و الإقتراحات المقدمة للحد من الظاهرة حسب المعلمين والأساتذة.

1 - تحديد طبيعة نطق الأصوات اللثوية في المنطقة:

1-1- هل تنطق الحروف اللثوية (الثاء، الذال و الظاء) نطقا صحيحا دون إلتباس؟

كان عدد الذين أجابوا ب "أحيانا" بنسبة 50% من الأساتذة ، في حين أجاب 30% ب "لا" وعن الحروف المستبدلة بالحروف اللثوية في أثناء نطقهم فإن حرف الثاء يستبدل بحرفين هما السين وذلك عند الأغلبية تقريبا وجزء قليل منهم ينطقونها تاء، أما حرف الذال فقد أقر نسبة 70% أي معظم الأساتذة يستبدلونها بحرف الزاي في حين أن البقية ينطقونها دالا مباشرة.

و بالنسبة لحرف الظاء ، وعلى عكس المتوقع ، اتضح أن 80% من الأساتذة يستبدلونها بحرف الضاد كما هو الحال في اللهجة العامية. وعللوا ذلك بقولهم أنهم إذا نطقوها زايا مفخمة جذب انتباه التلاميذ فوراً، وبالتالي فإنهم يقلبونها ضادا تلقائيا. علما بأن معلمي المدرسة الابتدائية هم الذين ينطقونها زايا بكثرة وأساتذة الطورين المتوسط والثانوي يركزون على استبدالها بحرف الضاد.

2-1- هل تحرص على إيصالها صحيحة للمتعلّم؟

تنوعت الإجابة على حسب الإقتراحات المقدمة بين نعم و لا و أحياناً، فكان 60% من الأساتذة يحرصون على إيصالها صحيحة للمتعلّم رغم أنهم يعيشون المشكلة ذاتها ، ومع هذا لم يتوان الأساتذة لحظة عن الجد في عملهم نظراً لتفشي الظاهرة بشكل لا يحسن السكوت عليه فكان لزاماً عليهم مراعاة سلامة أصوات تلاميذهم لإنقاذ الوضع، في حين أكد أساتذة آخرون على أنهم أحياناً يولون عناية فائقة في لفت انتباه التلميذ إلى المخارج الحقيقية لهذه الحروف وذلك في الأوقات الحرجة التي تسنح فيها الفرصة للقيام بها كحضور المفتش مثلاً أو إذا كانت هناك رقابة في أثناء تلقين هذه الحروف في دروس مختلفة وقد قدرت النسبة ب 30%. بينما نجد أساتذة آخرين لا يهتمون بعملية إيصال المعرفة الصوتية للحروف إلى المتعلّم مطلقاً وأن المهم عندهم هو تقديم الدرس المقرر ليس إلا.

3-1- هل يواجه المتعلّم صعوبة في نطق الحروف صحيحة في أثناء الدراسة؟

كانت الإقتراحات كالآتي (كل المتعلمين - معظمهم - بعضهم). أما الإجابات فهي كالتالي:

حصد الإقتراح الأول نسبة قليلة جداً من الآراء قدرت ب 10% فقط تعلق بتلاميذ الطور الابتدائي الذين يواجهون صعوبة في نطقها والأمر يشمل جميع أبناء المنطقة في السنوات الأولى خصوصاً. وسجل الإقتراح الثالث المتمثل في أن بعض المتعلمين كما كانت إجابة السادة الأساتذة الذين قدرت نسبتهم ب 60% يواجهون صعوبة وعسراً في تمييز مخارج هذه الأصوات اللثوية مما جعل الأمر ينعكس سلباً على كيفية النطق الصحيح لها عندهم وهم أبناء الطوارق خصوصاً .

أما ما تبقى من نسبة فكان للإقتراح الثاني من طرف - معظمهم - حيث قال الأساتذة أن بعضهم من المنطقة، وبعضهم الآخر من مناطق أخرى مجاورة ونائية.

2 - أسباب التداخل الصوتي عند أفراد المنطقة:

2-1 - ما هو سبب هذا التداخل في رأيك ؟

من أجل رؤية أقرب وتوضيح أكبر أردنا أن نقف على أسباب هذا التداخل حسب رأي الأساتذة أبناء المنطقة المطلعين على طبيعتها والمتعاشين مع هذه الظاهرة ومن جملة الإقتراحات البارزة التي اعتمدناها (أسباب جغرافية، طبيعة أصوات المنطقة ، تداخل اللغات و اللهجات المختلفة).

تركنا المجال مفتوحا أمام الأساتذة للإدلاء برأيهم من خلال طرح أسباب أخرى يرون أن لها يدا في التداخل .

رأى 50% من الأساتذة أن طبيعة أصوات المنطقة هي أهم أسباب هذا التداخل. وبالمقابل أرجع أساتذة آخرون السبب إلى تداخل اللغات واللهجات المختلفة للتشابه الكبير الذي تتشاركه في أجزاء كثيرة جدا فيها وقدرنا ذلك ب 30%. و تعد الأسباب الجغرافية عاملا أساسا في انتشار هذه الظاهرة والمؤثر فيه بالدرجة الأولى من طرف بعض الأساتذة إضافة إلى دوافع أخرى أفصحوا عن رغبتهم في الكشف عنها كونها في نظرهم أكبر المشكلات المؤدية لهذا الخلل الصوتي ومنها :

-لأن معظم أهل المنطقة يتحدثون بلهجات مختلفة باحتكاكهم مع من قدم من بعيد وتأثرهم ببعض عاداتهم النطقية وذلك ما أثر على النطق الصحيح للحروف.

- الصفات الوراثية في العائلة أهم أسباب ذلك خاصة المتعلقة بأمراض الكلام.

-إختلاط الأجناس في المنطقة والتي فاقت 120 جنسية تقطن بالمنطقة حسب ما تشير إليه المعلومة عندنا .

الفصل الثالث

دراسة ميدانية لظاهرة التداخل الصوتي بين الفصحى والعامية - تمناست أنموذجا -

- عدم اكتراث الأسرة بأكملها لهذا الأمر فلا تلقي ببال إلى السؤال عن كيفية تلقين اللغة العربية الفصحى لأبناءها بأصولها وقواعدها. فالمهم عندها هو التعلم فقط سواء أكان مناسبا أم غير ذلك.

- عنصر المصادفة أو المفاجئة عند غير المتحدثين بالعربية (الطوارق مثلا) حيث يتصادمون بالعربية الفصحى دون سابق إنذار بعدما اعتادوا على محيط ولهجة أو لغة معينة ، وبالتالي هم لن يتقبلوا الفصحى ببساطة حيث يحتاجون إلى وقت أطول ليقوموا ألسنتهم.

- لأن المعلم أو الأستاذ هو نفسه يعلمها خاطئة للتلميذ كما تعود عليها لأنه لا ينطقها كما يجب سليمة أصلا.

- غياب الكتاتيب والتردد على المدارس القرآنية في الآونة الأخيرة مما سلب الطفل فرصة تحسين نطقه وغيب عنصر الفصاحة من لسانه ، وبالتالي فإن حروف الهجاء في الأصل حينما يتعلمها الطفل لأول وهلة خاطئة على هذا النحو: أ ب ت س (ث)، ج ح خ ، د ز (ذ) ر ز ، ع غ ، ط ز (ظ)... فنلاحظ أنه ينطق حرف الزاي أثناء التعلم خاطئة دون إدراك منه أنها ترداد لثلاثة أحرف مختلفة هي الذال-الزاي الفعلية- والظاء.

- إنعدام معايير اختيار الأستاذ الكفاء والمتقن لقواعد اللغة الفصحى لا كلاما فقط بل مضمونا وفعلا أيضا.

- تأثرهم بالبرامج التلفزيونية خاصة الناطقة باللهجة المصرية التي تتميز بهذه الظواهر الصوتية.

الفصل الثالث

دراسة ميدانية لظاهرة التداخل الصوتي بين الفصحى والعامية - تمراست أنموذجا -

- عدم تحضير المتعلمين مسبقا لمواجهة الاختلاف القائم بين لغة البيت و ما تتطلبه المدرسة في ميدان التفاعل اللغوي في الصف.

- الإزدواجية بين اللغة الأم (التارقية) ، أو العربية العامية. مما ولد صعوبة في تعلم أصوات العربية الفصحى.

- يمكن أن تعد بعض أشكال التداخل الصوتي بين العامية و الفصحى نوعا من أنواع الإضطراب النطقي عند بعض العينات.

1-2- هل ترى أن للمنظومة التربوية و المختصين دخلا في هذا الإلتباس ؟

بلغت نسبة المجيبين ب"نعم" 70% حيث رأوا تورط كل من المختصين و المنظومة في هذا التداخل و الإلتباس معللين ذلك بما يلي:

- لأنها لم تضع شروطا صارمة للتعليم يتبعها المعلم بغية الحفاظ على التوازن من خلال تطبيق متكافئ لقواعد اللغة العربية الفصحى... وهذا بالتالي يعكس لامبالاتها في ترسيخ مبادئها عند المتعلم.

- تعد هذه الظاهرة شيئا عاديا تفرضه عادات و تقاليد أو طبيعة المناطق مما لا يمكن التدخل و التحكم فيه.

- لماذا سمي المختصون مختصين إذا لم يكن لهم دور فعال في القضاء على هذا اللبس.

- إنعدام الوسائل اللازمة لرصد هذه الظواهر عن قرب و أن كل ما يقوله المختصون بهذا الامر مجرد حبر على ورق ونقل للتصورات الغربية فقط ، إضافة إلى ضعف اهتمام البرنامج التربوي التعليمي بالجانب الصوتي للعربية الفصحى وما يتطلبه من أجهزة حديثة متطورة تساهم في توضيح الفرق بين الأصوات اللغوية في المرحلة الابتدائية خصوصا وبقية المراحل بالتدريج.

الفصل الثالث

دراسة ميدانية لظاهرة التداخل الصوتي بين الفصحى والعامية - تمراست أنموذجا -

- الصعوبات التي تنبثق عن التواصل بين المعلم و المتعلمين في أثناء تقديم الدروس مما يعوق وصول المعلومة ، فيهمل المعلم الطريقة الصحيحة لنطق الأصوات ويكتفي بأصوات اللهجة العامية طوال العام الدراسي فيزيد الطين بلة.

- التحديات التي تعيشها العربية الفصحى في الجزائر و منافسة اللغة الفرنسية لها له أثره الكبير على تفشي ظواهر النطق الغريبة عن العربية الفصحى.

- اللهجات و الدارج المحلية الهجينة المتفشية ، وعدم اهتمام شبابنا بالعربية الفصحى وتفضيل اللغات الأجنبية على أنها لغات العلم والتحضر والمستقبل.

أما الذين نفوا هذا الإتهام عن المختصين و المنظومة ونسبتهم 30% وهذا لأسباب منها:

- أن هذه المسؤولية تقع على عاتق الجميع ولا تقتصر على جهة معينة دون أخرى فالكل مسؤول.

- المتعلم كبر على الظاهرة وتعايش معها فلم يعد بيده حيلة للخلاص منها بهذه السهولة.

- المنظومة التربوية بموظفيها والمختصين ليسوا ملزمين بتتبع الناطق حرفا بحرف للوقوف على الظاهرة ومعالجتها لأنها ليست من مهامهم.

-حتى ولو كان هناك رادع من هذا الجانب فإن كل معلم يُدرّس حسب هواه فلماذا نتعب أنفسنا بإلقاء العتب على كاهلهم - أي المنظومة التربوية والعاملين فيها - .

1-3- هل لغياب المدارس القرآنية أثر في وجود هذه الظاهرة ؟

بين اقتراحين اثنين وردت إجابة 80% ب "نعم" وذلك من خلال إجراء مقارنة بين الأجيال السابقة و جيل اليوم بإقرارهم ما يلي :

- ثمرة المدارس القرآنية على جل العلماء والأدباء و الشعراء المعروفة سير حياتهم الذاتية، وكيف فتّحت مواهبهم بعد دخول الكتاتيب ومدى فضلها عليهم وتحكمهم في زمام اللغة وفصاحتهم، خصوصا إذا أخذنا طبيعة المنطقة بعين الاعتبار.

- قراءة القرآن تعين على النطق السليم لحروف اللغة مما يرسخ ذلك في ذهن المتعلم و يجعله يتحكم بلغته في جميع المواقف والظروف.

فأفاد الأساتذة بنجاعة المدارس مما يفيد أن لهم تجربة وخبرة فيها وقد أكدوا هذا في معرض إجاباتهم.

-أن القرآن هو الراعي الأول للغتنا الفصحى وإذا ضبط الإنسان مفرداته و أصواته فأكيد أنه لن يصعب ذلك في ظرف آخر.

أما الذين أجابوا ب "لا" ونسبتهم 20% فقد فسروا ذلك بقولهم أن معلم القرآن اليوم نفسه يجد صعوبة في نطق هذه الحروف حيث صرنا نسمع طلبة ومعلمي قرآن يقرؤونه مع هذه الظواهر وبهذا التداخل .

3. الحلول والإقتراحات المقدمة للحد من هذه الظاهرة :

أجمع الأساتذة للإجابة على هذا السؤال بنسبة 50% على محاولتهم البحث عن حل ناجع لتجنب هذا التداخل عند المتعلم، مما يبرز مدى اهتمامهم بالإرتقاء بالتحصيل العلمي و المعرفي إلى أفضل مستوى. فأعربوا على أنه نظرا لكثرة تفشي هذه الظاهرة ونظرا لخبرة معظم هؤلاء الأساتذة والمعلمين الذين ارتأوا العودة بدورهم إلى المتون- حسب رأيهم- أنها تساعد على ترسيخ القاعدة اللغوية بجميع حيثياتها بما فيها مخارج الأصوات، وأكدوا على ضرورة العودة إلى الكتاتيب والمدارس القرآنية وبيان مدى فضلها في ذلك.

- ومن خلال تعويد التلاميذ بين الفينة و الأخرى على نطقها سليمة صحيحة مع مطالبة الأولياء على مساعدة أبناءهم والأخذ بيدهم إلى النهج الصحيح لا سيما من هم في سن مبكرة حتى لا يتفاقم الوضع.

- تخصيص حصص و أوقات معتبرة في جميع الأطوار التعليمية للتلاميذ وتدريبهم على الفصاحة من خلال حسن نطق الحروف حسب مخارجها الصحيحة مع التطبيق الفعلي لها في الميدان وحبذا لو تجرى منافسات ومسابقات في هذا الصدد لتفعيل الدور.

- الإشارة إلى أن الحروف اللثوية هي جزء من حروف الهجاء في اللغة العربية ، وإذا فلتت الأمور من السيطرة عليها سيصبح عدد حروف العربية مستقبلا 23 حرفا فقط بحيث لن ينفع حينذاك النظر فيها.

- تكليف التلاميذ ببحوث تتضمن التراث العربي القديم (شعر، قصص، رسائل...) والتي تحمل ثروة لغوية ضخمة جدا تستند على مفردات متنوعة لا تخرج عن نطاق الحروف اللثوية الثلاث وقراءتهم لها قراءة صحيحة في جميع مستويات اللغة لتذوق جمالها الذي يعترئها بتنوع أصواتها والتمتع بها.

الفصل الثالث

دراسة ميدانية لظاهرة التداخل الصوتي بين الفصحى والعامية - تمناست أنموذجا -

- يجب على الساهرين على تبليغ الرسالة أن يحرصوا على تصويب هذه الظاهرة و القضاء عليها بإسهام جميع الأطوار.

- توضيح الفرق بين الحروف الملتبسة من خلال الكتابة و التمثيل لها على السبورة في الطور الأول خصوصا وبيان الاختلاف بين الحروف الأصلية للكلمة والحروف المستبدلة ، ودورها في الحفاظ على المعنى أو بيان معنى الكلمة تارة بالحرف الأصلي وتارة أخرى بالحرف المستبدل لإستظهار الفرق.

وأدلى جمع من الأساتذة على أنهم أحيانا يحاولون انتهاج حلول ناجعة للقضاء على هذا التداخل وهم يقدررون ب 30% وذلك من خلال الإقتراحات التي قدمها أصحاب الإجابة ب "نعم". ومن الأساتذة من لم يقف على حل التداخل مطلقا..

كما أنهم أبدوا غرابة من السؤال و كأن الأمر لا يهمهم مطلقا.

ومن بين الحلول التي اقترحت أيضا:

لفت انتباه المتعلم إلى أن النطق السليم للحروف اللثوية يدخل في تشكيل شخصيته ، وتكوينه تكوينا صالحا يبرز مدى اجتهاده وتمسكه بلغته. وأنه دليل فصاحته وسلوكه الكلامي وقناعاته اللغوية وسلامة أفكاره وغيرها وافتخاره باللغة العربية.

الفصل الثالث

دراسة ميدانية لظاهرة التداخل الصوتي بين الفصحى والعامية - تمناست أنموذجا -

إستبانة موجهة للمتعلمين

وسعيا منا للبحث والوقوف على ظاهرة التغيرات الصوتية في اللغة العربية الفصحى والتداخل الصوتي بينها وبين اللغة العامية عند سكان الجنوب بمنطقة تمناست خصوصا. ندعوكم للإسهام معنا من خلال إجاباتكم ع هذه الأسئلة بوضع علامة (x) في الخانة الملائمة :

I- التعرف على المستجوب :

- الجنس : ذكر ☐ أنثى ☐
- السن :

II- الأسئلة :

أ) طبيعة الحروف اللثوية الثلاثة و كيفية نطقها :

أ-1- هل أنت على علم بخصائص اللغة العربية؟

نعم ☐ لا ☐

- كيف ذلك؟-----

أ-2- هل تنطق الحروف اللثوية نطقا صحيحا دون التباس؟

نعم ☐ أحيانا ☐ لا ☐

أ-3- هل يصعب عليك نطق حرف "الثاء" صحيحا في أثناء الحديث؟

نعم ☐ أحيانا ☐ لا ☐

الفصل الثالث

دراسة ميدانية لظاهرة التداخل الصوتي بين الفصحى والعامية - تمرست أنموذجا -

- إذا كانت الإجابة "نعم" أو "أحيانا" فما هو الحرف المستبدل بها؟-----

أ-4- هل تنطق حرف "الظاء" صحيحا دون التباس؟

نعم ☐ أحيانا ☐ لا ☐

- إذا كانت الإجابة بغير "نعم" فما هو الحرف المستبدل بها؟-----

أ-5- هل تنطق حرف "الذال" صحيحا دون التباس؟

نعم ☐ أحيانا ☐ لا ☐

- إذا أجبت ب "لا" أو "أحيانا" فما هو الحرف المستبدل بها؟-----

ب)- معرفة أسباب هذا التداخل:

ب-1- ما هي أسباب التداخل في هذه الأصوات والتباسها في أثناء النطق؟

صعوبة نطقها ☐ تعلمتها هكذا ☐ تشابهها ☐

- أسباب أخرى:-----

ب-2- هل ترى أن للمعلم دخلا أو سببا في هذا الالتباس؟

نعم ☐ أحيانا ☐ لا ☐

ب-3- هل تولي المنظومة التربوية عنايتها لهذا الأمر؟

نعم ☐ أحيانا ☐ لا ☐

الفصل الثالث

دراسة ميدانية لظاهرة التداخل الصوتي بين الفصحى والعامية - تمناست أنموذجا -

- هل تراها سببا في هذه الظاهرة؟-----

ج)- الحلول المقترحة للقضاء على هذه التداخل :

ج-1- هل حاولت يوما الوقوف على هذه الظاهرة؟

☐ لا

☐ نعم

- كيف ذلك؟-----

ج-2- في رأيك ما هو الحل الذي تراه مناسبا للحد من هذا التداخل؟

- معرفة مخارج الحروف و التحكم في سلامة نطقها قبل كل شيء ☐

- تخصيص حصة تدريسية لهذا الأمر ☐

- مراعاة المعايير الصوتية لكل لهجة في المنطقة ☐

- اقتراحات أخرى -----

- / تحليل الإستبانة الموجهة للمتعلّمين:

قمنا بتقسيم الإستبانة إلى ثلاث مستويات حسب الموضوع ، صُب فحوى المحور الأول حول طبيعة الحروف اللثوية وكيفية نطقها. أما الثاني فتركز على معرفة الأسباب المتعلقة بهذا التداخل، في حين كان الثالث جملة من الحلول الكفيلة بالقضاء على الظاهرة .

يبلغ عدد المتعلمين الذين مثلوا مجتمع الدراسة من المجموع الكلي خمسون طالبا وقد تم استرجاع عينة الدراسة كاملة بعد توزيعها.

وبعد التحليل توصلنا إلى ما يلي:

1 - طبيعة الحروف اللثوية الثلاث وكيفية نطقها:

1-1- هل أنت على علم بخصائص اللغة العربية ؟

تراوحت الإجابة بين نعم ولا، وكانت نسبة التلاميذ الذين أفادوا ب " نعم" تقدر ب20% فقط فيظهر أن طالب اللغة العربية على جهل يكاد يكون تاما بمقومات لغته الفصحى و مميزاتها وخصائصها .

من جهة بلغت نسبة القائلين ب "لا" 80% ،ومن أجابوا بنعم قالوا أنه من خصائص العربية أولا أنها لغة القرآن وأنها سميت بلغة الضاد، كما أنها تحتوي على حروف وأصوات دون سواها من اللغات هي (العين-الحاء -القاف -الضاد...) .

1-2- هل تنطق الحروف اللثوية نطقا صحيحا دون التباس ؟

اختلفت الإجابة باختلاف المنطقة التي جاء منها كل تلميذ و على حسب القاعدة الأولى التي انبنت عليها لغته الفصحى و اتضح من خلال الإجابة أن نسبة 60% من المتعلمين ينطقون الحروف اللثوية الثلاث صحيحة دون التباس، أي سليمة و صحيحة حسب مخارجها أو صفاتها الأصلية.

الفصل الثالث

دراسة ميدانية لظاهرة التداخل الصوتي بين الفصحى والعامية - تمناست أنموذجا -

نسبة 20% أقرت بالالتباس الذي يواجهونه أثناء نطق هذه الحروف، فهم يستبدلون حرف الثاء "سينا" وذلك عند جميع المتعلمين المتميزين بهذا الخط.

أما حرف الذال فيستبدلونه بحرف "الزاي" كما هو في صورته العادية. وحتى المجبيون بأحيانا كان عندهم نفس الانطباع نتيجة سهو منهم أو تعثر في الكلام أو ارتباك إلى غير ذلك...

فيما يخص حرف الظاء تارة يستبدل "ضادا" وهذا بنسبة ضئيلة عند المتعلمين ، إذ أن الأغلبية الساحقة يستبدلونه زايا مفخمة .

2 - معرفة أسباب هذا التداخل:

1-2- ما هي أسباب هذا الالتباس في النطق ؟

أرجعت نسبة 70% من التلاميذ إلى أن السبب الرئيس في هذا التداخل هو تشابه هذه الأصوات مع بعضها بعض مما يؤثر على صحتها وسلامتها. وفسر بعضهم ذلك بقوله أن اللسان يستعمل بالطريقة نفسها في كلا الصوتين و أنه حتى عندما ينطقها مستبدلة فإنه لا يشعر بالفرق بينهما فالمعنى واحد يفهم من كليهما، وأن السامع لا يبالي بهذا الاختلاف لأنهم تعودوا عليه.

أفاد تلاميذ آخرون نسبتهم 20% أن صعوبة نطقها هو ما جعلهم يتخلون عنها ويستبدلونها تلقائيا بحروف أخرى. وما تبقى فقالوا أنهم تعلموها هكذا منذ صغرهم في المدارس فاعتادوا على نطقها خاطئة. لكنهم يكتبونها صحيحة مع جريانها هكذا على ألسنتهم . وهذا هو الأهم كما أن المحيط من حولهم بكل ذلك الإحتكاك بين أفراد المجتمع والأجناس هو ما زاد ترسيخ هذه الكيفية في النطق لاعتقادهم أنها تدخل ضمن عاداتهم وتقاليدهم اللغوية ، حيث أن معظم المجتمع ينطقها على هذا النحو ظنا منهم أنها طريقة للإشتهار أكثر وفقا لمقولة "خالف تعرف" لتصبح هذه ميزة المدينة.

2-2- هل ترى أن للمعلم دخل في هذا الإلتباس ؟

ذهب عدد من المتعلمين إلى فكرة أن المعلم له يد في هذه الظاهرة ، حيث أثبت هذا السؤال تأثير التلميذ بالمعلم و أنه يقتدي به في كثير من الأمور وإذا كان المعلم قد نطقها بشكل ما فسيعتقد التلميذ أنها الشكل الصحيح للمكانة التي يحتلها المعلم والتي قد تصل إلى درجة التقديس عند التلميذ وإن سمعها بشكل آخر في مقام آخر.

وقد أعرب بعض التلاميذ على أنهم تأثروا بفصاحة معلمهم في فترات ما من عمر الدراسة حتى أصبحت جزءا من مكنهم اللغوي وثقافتهم اللغوية وقد قدرت نسبتهم 50%.

والمجيبون بـ "لا" ونسبتهم 30% نفوا أي دخل للمعلم في هذا خصوصا و أننا - حسب رأيهم - في عصر التطور الذي أصبح فيه التلفاز هو المعلم الأول، لأنه يصاحب الطفل قبل دخول المدرسة حيث يكون على وعي كاف لأن يجعله يقلد ما يسمعه و يظهر في سلوكياته منها الكلام على وجه الخصوص، حينئذ يصبح دور المعلم غير فعال كما هو مطلوب.

أما الذين أجابوا بـ "أحيانا" والقصد من ذلك أن المعلم ليس السبب الأساس في هذا التداخل ، بل هو جزء من عدة أسباب وقد يكون عيبه الوحيد في عدم تقويمه لأخطاء التلاميذ في النطق بين الفينة و الأخرى على الأقل ليرز مدى جديته وحرصه على توصيل رسالته بكل أمانة و على أكمل وجه، إضافة إلى أن المنظومة التربوية مثلت دور الرقيب عليه لتحذ من حماسه وجده الذين لطالما كانا عنوانا له.

2-3- هل تولي المنظومة التربوية عناية لهذا الأمر؟

فيما يتعلق باهتمام المنظومة بهذا الأمر فقد كان عدد المثنيين على دورها الإيجابي منعما إذ أن جميع التلاميذ يقرون بعدم اهتمامها بالظاهرة التي تنصب في تغيير المقررات التي أثقلت كواهلهم دون فائدة تذكر في حياتهم اليومية وهكذا...

الفصل الثالث

دراسة ميدانية لظاهرة التداخل الصوتي بين الفصحى والعامية - تمناست أنموذجا -

علل المفيدون بـ "لا" رأيهم هذا على أن المنظومة لا تلقي بالا لسكان الجنوب أبدا و أن المقررات الدراسية لا تلبي احتياجاتهم مطلقا ، بل إن المعلمين أنفسهم لا ينطقون الأصوات اللثوية سليمة.

لم يلق أصحاب الرد بـ "أحيانا" بكامل اللوم على عاتق المنظومة التربوية بدليل أنها ليست على معرفة كاملة بطبيعة المناطق وأن هدفها الوحيد والأوحد هو توحيد المقررات وتوزيعها على التلاميذ ، فلم تضع في الحسبان ظهور مشكلات كهذه في وقت ما لاحقا.

1 - الحلول الكفيلة بالقضاء على هذا التداخل :

1-1- هل حاولت يوما الوقوف على هذه الظاهرة ؟

انقسمت الإجابة إلى قسمين بطبيعة الحال حسب الإقتراحين الموجهين ، حيث صرح 60% من التلاميذ على عدم محاولتهم نهائيا في يوم ما الوقوف على أخطاء النطق الشائعة عندهم ولو بمحض الفضول فهي عادة سرت فيهم وكفى.

أما بقية النسبة والممثلة بـ 40% فقد أفادوا أنهم حاولوا مرارا وتكرارا الوقوف على هذه الظاهرة واستظهار حلول ناجعة للحد منها - على حسب رأيهم - من خلال ما يلي:

- إرشاد المتعلم إلى طريقة النطق الصحيحة وقراءة نصوص تكثر فيها الحروف اللثوية ، وحتى كتاب الله .

- تردد هذه الحروف من 100 إلى 200 مرة لتعويد التلميذ على مخارجها... وهكذا...

2-1- في رأيك ما هو الحل الذي تراه مناسباً للحد من هذا التداخل ؟

إقترحنا ثلاثة حلول متنوعة تركنا فيها باب الاختيار مفتوحاً للمتعلم بغية الإفصاح عن أهم الحلول التي يرونها مناسبة .

إستحوذ الإقتراح الأول والمتمثل في معرفة مخارج الحروف والتحكم في سلامة نطقها قبل كل شيء حصة الأسد بنسبة 50% وذلك من إشارتهم لها عند المعلم والمتعلم في آن واحد. كما أنه على المعلم متابعة التلميذ في كل صغيرة وكبيرة تتعلق بمخارج الحروف حتى يحكموا القبضة على زمام لغتهم و أصواتها.

في حين حصد الإقتراح الثاني الذي ذهب إليه بقية المتعلمين نسبة 30 % والمتمثل في تخصيص حصة تدريبية للحروف اللثوية حيث تكون هناك دورات يدرّب فيها التلميذ على إتقان نطق الأصوات اللغوية بكل سهولة وكفاءة .

أما ما تبقى فأروا في مراعاة المعايير الصوتية لكل لهجة في المنطقة حلاً كفيلاً للحد من هذا التداخل وضبط قواعد لهجات جميع المناطق وتمييزها عن بعضها بعض بشكل منظم وجدي ، تتبين فيها خصائصه المختلفة لتتضح الصورة و تصبح أكثر بروزاً للعيان دون إشكال يذكر.

ج - وصف التداخل الصوتي وتحليله عند سكان المنطقة من خلال تقديم نص للقراءة - التلاميذ أنموذجا -

مواصلة منا للوقوف على الظاهرة - التداخل الصوتي - عند سكان المنطقة بين الفصحى والعامية قمنا بإعطاء التلاميذ نصا قصيرا للقراءة فيه مجموعة من الحروف اللثوية وهذه العينة هي تلاميذ الثانوية ، منهم من هو من المنطقة أصلا ومنهم القادمين من مناطق أخرى و القاطنين بالولاية. وقد اخترنا هذه العينة تحديدا لأننا رأيناها الأنسب للبحث والقادرة على تحقيق المسعى الذي نصبو إليه ولأنها من حيث النشاط العقلي الأقدر على استيعاب الفكرة والتفطن إلى الخلل الموجود بهدف التأكيد على أن الظاهرة جزء من لغتهم وكلامهم اليومي بوعي منهم أو دون وعي وكان النص المقدم للتجربة بعنوان " عظمة العظمت " للكاتب والأديب عباس محمود العقاد من كتابه " عبقرية محمد ".

يتحدث النص عن الرسول صلى الله عليه وسلم وشيء من عظمة العظمت ودفاعه عن الرسول فيقول النص:

" إن عطف العظيم على الصغير حتى يستحق منه هذا الحب لفَضِيلَةٌ يشرف بها مقام العظيم في نظر بني الإنسان... إن استحقاق العظيم أن يحبه العظماء لأشرف من ذلك رتبة، وأدل على حظه الجليل... فأحدقت به نخبة من ذوي الأقدار تجمع بين عظمة الحسب، وعظمة الثروة ، وعظمة الرأي... وكل منهم ذو شأنٍ في عظمتة ... كما أثبت التاريخ من سير أبي بكر... وسائر الصحابة الأولين... وعظمة العظمت هي التي تجذب إليها الأصحاب النابغين من كل معدنٍ وكل طرازٍ... فما تأر من أحدٍ أساء إليه في شخصه... هذه النفس المطبوعة على الصداقة والرحمة... ما أعجبهم إذ يذكرون العقوبة وينسون الذنب الذي استوجب العقوبة كما يستوجب السبب النتيجة ، وأي ذنب؟! "

الفصل الثالث

دراسة ميدانية لظاهرة التداخل الصوتي بين الفصحى والعامية - تمناست أنموذجا -

ذنب لو قوبل به غير محمد لأراق فيه أنهارا من الدماء... ونذكر حادثا واحدا تجمع فيه اللؤم ما تفرق في كثير من غيره، وكذلك حادث الرسل الأربعين - وقيل السبعين الذين قتلوا في بئر معونة، ولا ذنب لهم إلا أنهم ذهبوا تلبية لدعوة الداعين ... فماذا كانت دول الحضارة صانعة بالقاتلين الغادرين... الذين يأكلون الآدميين، ومن حقهم أن يعذروا كما تعذر الوحوش إن بقي من أبناء القبيلة من يروي أنباء القبيلة ، قد يقال: إن القوم لرحماء في العقاب !!... من فعلة كهذه نعلم مدى ما استحقه محمد من حب الأصدقاء ، ومدى ما استحقه أعداؤه من جزاء..."(1)

كان عدد التلاميذ الذين قدم لهم النص طلبا للقراءة 47 تلميذا على أساس أن النص مقدم لنشاط المطالعة الموجهة لا غير كما سار في اعتقادهم حتى يتعاملوا مع النص على سجيته من أجل الوصول إلى نتائج واقعية ومدى صدق البحث. وبالتالي لم يكن التلاميذ على علم بأنه يتم اختبارهم لغاية ما.

1 - عباس محمود العقاد - عبقرية محمد - دون طبعة - المكتبة العصرية للطباعة والنشر و التوزيع - بيروت -
دون سنة - ص 85- 88.

الفصل الثالث

دراسة ميدانية لظاهرة التداخل الصوتي بين الفصحى والعامية - تمناست أنموذجا -

وبعد الإستماع إلى قراءات التلاميذ الواحد تلو الآخر نلمس بطبيعة الحال التباين في القراءات رغم أن النص كان طبعا باللغة العربية الفصحى إلا أن كلا يقرأه بطريقته الخاصة إذ أن كل تلميذ يدمج فيه شيئا من واقع اللغوي من خلال لكانات تفرضها عليه طبيعة لهجته التي يتعامل بها خارجا ، وحسب المنطقة التي قدم منها دون شك العامل الأساس في وجود هذا التنوع والتداخل لكن تركيزنا كان دائما منصبا على أفراد المنطقة النموذج كما يبقى أهم شيء كان بارزا من خلال قراءات التلاميذ بالدرجة الأولى هو أن الحروف اللثوية الثلاث نطقت بطرق وأشكال مختلفة منهم مثلا من قرأ النص على مسمعنا بهذه الأصوات : " إن عطف العزيم (بتفخيم الزاي) على الصغير... لأشرف من زلك رتبة (صوت الزاي العادية)... وعزمة السروة (نطقت السين هنا مفخمة كأنها تماما صاد)... و نزركر حادسا واحدا تجمع فيه... في كسير من غيره (لاحظنا أن حرف التاء هنا استبدل مباشرة بحرف السين العادية واستبدل حرف الذال قبله بالزاي المفخمة أيضا " .

وقراءة أخرى كانت كما يلي: " وعظمة العضمات (نلاحظ استبدال حرف الطاء ضادا مباشرة في كلا الكلمتين) هي التي تجذب إليها الأصحاب (نطق هنا الذال دالا عادية)... وهذا (نفس الملاحظة السابقة) العطف الإنساني الشامل... فما تأر (التاء هنا نطقت مفخمة قليلا على حرف التاء العادية ورقيقة على حرف الطاء العادي) من أحد... ما أعجبهم إد يضكرون (استبدلت الذال هنا بحرف الضاد لا الدال ولا الزاي كما هو مألوف عادة حسب الموقع الذي جاءت فيه) العقوبة وينسون الدنب (الذال هنا على خلاف ما سبق)... " .

الفصل الثالث

دراسة ميدانية لظاهرة التداخل الصوتي بين الفصحى والعامية - تمناست أنموذجا -

كان ما فعلناه محاولة لمسيرة اعتقاد التلاميذ للوصول إلى هدفنا المنشود
المجسد في تأكيد الظاهرة والتداخل عندهم .

فهو عنوان اعتمدناه لمساعدتنا في تحقيق غايتنا ألا و هي " إثراء الرصيد
اللغوي " الذي نقوم فيه دائما بتحديد الألفاظ الصعبة والتي تحتاج إلى شرح فكان
أن اخترنا ما يشرح من النص المفردات التي بها الحروف اللثوية وهي " العظيم ،
نوي ، عظمة ، أثبت ، تجذب ، ثأر ، الذنب ، حادث ، يعذروا " .

حسب عدد الكلمات التي ارتأينا شرحها من النص حددنا عدد التلاميذ الذين
سيقومون بمهمة الشرح وتدوين الكلمات على السبورة بعد إملأها عليهم . أردنا من
هذا ضرب عصفورين بحجر واحد معنى ذلك أنه من وراء القصد غرضان هما :

- الأول هو محاولة الأخذ بيد التلاميذ إلى نطق الحروف اللثوية على أصولها .

- أما الغرض الثاني فهو معرفة ما إذا كان التلاميذ الذين ينطقون هذه الحروف
المستبدلة بحروف أخرى يكتبون كلماتها صحيحة أم لا بعد أن نمليها عليهم من
النص فماذا كان ؟

تشارك التلاميذ المعنيون بهذه الظاهرة - إن صح القول - تبادل الأدوار فيما بينهم
وكان عددهم 14 تلميذا ، وذلك بطلب منا على النحو الآتي :

يصعد تلميذ إلى السبورة ليدون عليها الكلمة - بغية شرحها - الكلمات التي بها
حروف لثوية - في حين يقوم زميله بإملأها عليه بالنطق الخاطئ أي مستبدلا
الحرف بحرف آخر كما أشرنا سافا ودون أن يشعر .

وعلى هذا النحو سارت العملية بالتتابع على الطريقة المطلوبة إلى النهاية وكانت
النتيجة التالية :

الفصل الثالث

دراسة ميدانية لظاهرة التداخل الصوتي بين الفصحى والعامية - تمناست أنموذجا -

أن التلميذ حينما ألقى الكلمة على زميله أملاها عليه بالخطأ، أما التلميذ الذي يدون قد كان يرددها مرة بعده ريثما يسجلها على السبورة . ولكن بعد تسجيلها رأينا أنهم كانوا يكتبونها بشكلها الصحيح أو رسمها الملائم و هكذا توالت العملية حيث لاحظنا أن جميع الكلمات كتبت كما يجب .

بعد إنهاء عملية التدوين والشرح التي لم تكن مسطرة وفق مخطط البحث للوصول إلى الهدف مسبقا إلا أنه للظرف الذي أملاه فقد كانت ثمرته إيجابية خدمت كثيرا مسار البحث.

عدنا إلى الكلمات المقصودة وذلك من خلال استوقاف التلاميذ عليه مجددا بعيدا عما سبق - أي التلاميذ المعنيون بالأمر - فبدأنا نقرأ كلمة بكلمة ونطلب من التلميذ أن يكرر الكلمة بعدنا فلم ينتبه التلاميذ كالعادة إلى كيفية نطقها الخاطئة ، لنطلب منه إعادتها مرة أخرى محاولين لفت انتباهه واستثارة حاسة السمع لديه بوجود خطأ ما في نطقه الكلمة بهذه الكيفية مرفقة ببعض الإشارات أو الحركات بالوجه أي إحداث تعابير تناسب الموقف حتى ينتبه التلميذ.

شيئا فشيئا بدأ التلاميذ يهتدون إلى وجود خلل ما ، وهو ممثل في طريقة النطق الخاطئة لبعض حروف الكلمة وهي الحروف اللثوية على وجه التحديد كما أشرنا في السياق ، مع جهلهم بأن هذه الحروف الثلاث (التاء ، الذال ، الظاء) يطلق عليها هذا الاسم . ولكن بطريقة ما يدركون أن الأمر متعلق بها.

وبعد استماع بعضهم إلى كيفية النطق هذه، سألناهم إذا كانت هذه الحروف تنطق هكذا فأفاد الجميع ب "لا" فكيف تنطق إذا ؟!

بدأ التلاميذ يحاولون بالطريقة المثلى و بشكل متواصل ، بحيث كان هناك من صعب الأمر عليه حقا يصيب مرة ويخطئ مرات ومنهم من نطقها صحيحة بعد أول محاولة وآخرون لم يفلحوا أبدا باعتبار صعوبة وعسر نطقها لأنه لا يتذكر أنه نطقها في حياته سليمة ... وهكذا.

الفصل الثالث

دراسة ميدانية لظاهرة التداخل الصوتي بين الفصحى والعامية - تمراست أنموذجا -

و من جملة ما خلصنا إليه ما يلي :

- أن الخلل يكمن في كيفية النطق لا الكتابة في أكثر أحواله.
- أن هذه الطريقة في النطق ترتبط أكثر بالاشعور أو اللاوعي عند الفرد في أثناء الكلام المتواصل والطويل خصوصا.
- لا نقول أنه ينطقها صحيحة في مقام الاختصار لأنه لا ينتبه إلى ذلك إلا إذا استثير ليعود إلى الصواب .
- ميل المجتمع إلى السهولة و البساطة من أكثر العوامل تأثيرا في هذا التداخل الصوتي كون السكان مولعون بتقليد بعضهم بعضا فيما هو جارٍ في المحيط ونحن نعني بهذا التقليد اللغوي.
- لأن اللغة هي أقوى الدعائم القادرة على تقوية الصلة بين الأفراد و أكثر وسيلة لغوية موحدة للبيئات الصوتية، لذلك يجب علينا أن ننفر آذاننا من أن تستسيغ كل ما تسمعه من نطق بعضنا بعض خصوصا لما فيه من تشتيت لتمامك أبناء الأمة واللغة الواحدة. فكما قيل : " اللغة هي تواصل بين أفراد الجماعة اللغوية يتم من خلال عمليتين : عملية الإرسال وعملية استقبال هذا الكلام...وثمة تلازم بين الطرفين ...تماما كالعلاقة القائمة بين البيع والشراء فكلاهما يتم في وقت واحد." (1)

1- محمد محمد داوود - الدلالة والكلام (دراسة تأصيلية لألفاظ الكلام في العربية المعاصرة في إطار المناهج الحديثة) - دار غريب للطباعة والنشر والتوزيع - القاهرة - 2002 ط - م - ص 511.

الفصل الثالث

دراسة ميدانية لظاهرة التداخل الصوتي بين الفصحى والعامية - تمر است أنمؤذا -

فكان لزاما على الغيورين على لغتهم والراغبين في الحفاظ على تماسك هويتهم و صلابة مكوئهم الإجماعي و الثقافي من إحدات نقطة التحول من خلال إصدار جملة من الحلول و الإقتراحات التي يراها مناسبة إن لم يكن بالقضاء نهائيا على هذه الظاهرة ، بل بالإنقاص من سلبياتها وعواقبها وهي :

- إتخاذ نطق نمؤذجي يخضع له الجميع ونورثه للأبناء في مدارسنا نطقا نشترك فيه حين نعلم إلى اللغة الفصحى. و الأمر في هذا هين سهل لا يجد المتعلم بعد المران الكافي مشقة أو عناء في تعود هذا النطق الذي نجم عليه.

- تحديد فئة من المتعلمين على وعي تام بالفروق الصوتية من خلال مسار التعلم، بعد أن درسوها دراسة مستفيضة ونهلوها بشكل مكثف كفيل بخلق وتكوين ما يسمى بالمدرس المؤهل كنمؤذج مثالي في تدريس وتلقين أصوات اللغة العربية على أصولها في بيئة معينة من البيئات بعد أن يكون قد اطلع على عاداتها الصوتية كشرط أساس لمعرفة المشكلات الصوتية وتحديد انطلاقة سليمة موفقة للتخلص تدريجيا من تلك العادات. تلك العادات المقصودة هي التي كونتها لهجة الكلام في بيئته المحيطة به حيث أصبح الناس يتميزون بها عن غيرهم .

- على المدرس المؤختار أن يكون على علم تام أيضا بخصائص النطق النمؤذجي الذي أقر اللجوء إليه كهدف محض. وذلك بغية التوفيق بين صفات صوتية مصدرها لهجة الكلام في كل منطقة ، وتلك الصفات الصوتية التي سيتم التواضع عليها في النطق النمؤذجي للغة الفصحى.

- يسجل هذا النطق تسجيلا صوتيا ليدرس دراسة علمية مفصلة من المعلمين في معاهدهم من خلال جهاز آلي يشبه الجهاز الحقيقي عند الإنسان.

الفصل الثالث

دراسة ميدانية لظاهرة التداخل الصوتي بين الفصحى والعامية - تمناست أنموذجا -

- توزيع المدرسين المؤهلين على المناطق المعنية و المختلفة ببرنامج تصويبي موحد لتكون الفائدة عامة موحدّة في المناطق وموحدّة لوسيلة التواصل الإجماعي التي يتشاركها جميع السكان باعتبارها مقوم من مقومات هويتهم الوطنية على الأقل بعيدا عن اللهجات التي يتداولونها فيما بينهم.

- يتلقى الصغار عنهم ذلك النطق الموحد بطريقة المحاكاة والتلقين وخاصة أننا نعلم أن الصغار ذوي قدرة عالية على التقليد والمحاكاة والحفظ أيضا فإن كانت التنشئة صحيحة كان المستقبل منذرا بالخير لا خوف على اللغة العربية من أي تغير سلبي يمس أصواتها و قواعدها، ولأن الوقاية خير من العلاج كان التركيز على تشكيل هذه العجينة الطيعة تشكيلا سليما في الصغر ثبات وقوة في الكبر.

- خلق ثقافة إذاعية عند الطفل في المرحلة الأولى خصوصا تربي فيهم العناية بالنطق السليم لقواعد اللغة العربية الفصحى من خلال ما يعرف بالإذاعات المدرسية أو المحلية إن أمكن الأمر على الأقل . وبالتالي نجعل منهم أداة جد نافعة لنشر تلك الكيفية في النطق الصحيح بين الناس تدريجيا حيث يعتادون سماعهم في فترات معتبرة خصوصا الأطفال في سنهم مما يزرع روح المنافسة والغيرة فيما بينهم فيحاولون تقليدهم تقليدا قد يفوق المتوقع يجعلهم يتلمسون روعة لغتهم وجمال أسلوبها .

د - حلول و اقتراحات مستقبلية /

- من الخطر أن يترك فيها المجال مفتوحا لكل شاردة و واردة.
- رسم خارطة منظمة باتفاق جميع أطرافها والمهتمين بها و بتاريخها و تطورها والغيورين على مستقبلها والمتشبهين بقيمها ومبادئها الراسخة .
- كما اقترح علماءها المجدين مجموعة من التوصيات منها ما يلي : (1)
- رصد الأصوات العامية التي حلت محل الفصيحة فيها يعتبر جزءا هاما من التنبيه على خطر هذه الأصوات في المستقبل ، فهي أصوات متحولة عن الفصيحة ما زالت تنمو على ألسن الناس في بيوتهم و أسواقهم ، ولا يبعد إذا لم ينتبه إليها أن تتسرب ببطء نحو اللفظ الفصيح كما تسرب غيرها.
- ومن ذلك مثلا ما يقع للهمزة في اللهجات العامية ، فهي كما وصفها علماء اللغة العربية حرف شديد مجهور وهي أول حروف الحلق ، وقد دلت الدراسة الحديثة على أنها تولد بانغلاق الوترين الصوتيين ، ثم انفراجهما فجأة من غير أن يهتز الوتران ونحن نميل إلى إبقاء صفة الجهر للهمزة مع عدم اهتزاز الوترين في نطقها موافقة لعلماء اللغة، وكذلك لأن الوترين يفتحان ويغلقان بها .

1- أنظر : حسام سعيد النعيمي - أصوات اللغة العربية بين الثبات والتحول - ص 70 - 71.

الفصل الثالث

دراسة ميدانية لظاهرة التداخل الصوتي بين الفصحى والعامية - تمناست أنموذجا -

- فيما يتعلق بالتغيرات التي تصيب صوت القاف على ألسنة الناس ، فقد نص " ابن جني" على أن القاف لا تكون بدلا ولا زائدة ، بل تكون أصلا وقد ترجح في دراسة سابقة أن أية لهجة منسوبة أو غير منسوبة وردت فيها لفظة بحرف ، وهي بغيره في غيرها والمعنى واحد فيهما. ونحن نحاول تفسير ذلك الإبدال فيهما ، فإذا كان بين الحرفين إتفاق أو تقارب في المخرج أو الصفة كان هذا التقارب أو الإتفاق هو الداعي للإبدال ، وهذا الإبدال وإن كان واردا عن العرب إلا أننا لا نرى إباحته في الفصحى في غير المسموع ، إذ المصير إلى الكثير الشائع لا القليل النادر ولا سيما أن إبدال القاف كافا في غير ما سمع عن العرب إنما يكون للكنة أعجمية أو غيرها. لذلك ينبغي الإنتباه له ولا يسمح به في الإستعمال الفصحى... إلخ.

- يجب أن يكون ذوو الغيرة على العربية على حذر من تسرب الأصوات اللهجية الفصيحة ، والتنبيه عليها و مكافحتها ، وقد قيل في اللغة العربية : إنه عز وجل لما شرف العربية وعظمها ، ورفع خطرهما وكرمها قيض لها حفظة وخزنة من خواص الناس، وأعيان الفضل وأنجم الأرض.

- إن الإبدالات اللهجية التي ذكرت ليست مطردة ، فالذي يبذل القاف همزة مثلا ينطق بالقاف الفصيحة كلمة القاهرة ، والمقدم - لرتبة عسكرية - والقطاع الخاص ، والقوى العاملة... إلخ مما يدل على إعادة الصوت الفصحى إلى اللسان اللهجي بالجهد والتخطيط والعمل والعزيمة وغيرها مما يستنهض الهمم.

- إن محاولة التلميح بإدخال الألفاظ اللهجية و طريقة نطقها على الفصيحة فيه خطورة كبيرة على مستقبل أصواتها خاصة إذا اقترض منها الشعر وتداول على ألسنة الناس العام منهم والخاص...ولأن اللغة هي الرابط المتين الذي يوحد الأمة كونها لغة التوحيد والعقيدة وجب الإبقاء على تماسكها بطرد كل ما يذيب هذا التماسك و يجعله ينصهر دون العودة به إلى الحقيقة الأولية والأصلية.

الفصل الثالث

دراسة ميدانية لظاهرة التداخل الصوتي بين الفصحى والعامية - تمناست أنموذجا -

ومن الحلول التي يمكن أن يكون لها إنعكاس مثمر في هذا الأفق : (1)

- إجراء مسح لغوي شامل للهجاتنا العربية وما يستجد على أرضنا من تأثيرات وافدة لملاحقة التطورات المستمرة ووضعها نصب الأعين والإحاطة بجميع حيثياتها.

- اللغة العربية رسالة حضارية تتجاوز حدود الوطن العربي فهي لغة الإسلام الحامل لكل معايير المبادئ الإنسانية والداعي لها من خلال زحفه لتنوير الشعوب ، خاصة شعوب إفريقيا من الناحية الدينية والفكرية مما يعني محاصرة أعداء العروبة وإحكام القبضة عليهم من اليد التي توجعهم.

- ضرورة إحداث أطلس يطلعنا على تاريخ علم الأصوات ويكشف لنا التغيرات التي أصابت العربية و يخرجها من وكرها الأول الذي غزى أصواتها و مفرداتها. مع أن هذا ليس باليسير لأنه يحتاج إلى تظافر جهود جيوش من العلماء والباحثين والدارسين يقومون بمسح البيئة العربية في سائر أوطانها بالتجرد من العوامل الذاتية و السياسية والإيديولوجيات العقائدية المختلفة وغيرها مما يعيق عملية التكتاف.

- من أهم الأطالس التي تمت للعربية أطلس المستشرق " برجشتراسر" عام 1951م وبه ما يقرب من ثمانين خريطة ، كما تم عمل أطلس لغوي للجمهورية الجزائرية . أما أطالس اللغات الأخرى فكثيرة منها ما وضع لفرنسا ، إيطاليا ، هولندا ، ألمانيا ، رومانيا ، النمسا ، أمريكا الشمالية ، كورسيكا...إلخ.

1 - أنظر :عبد الصبور شاهين - في علم اللغة العام - ص 141-145.

خاتمة

خاتمة

كان الهدف من هذا البحث هو السعي إلى تحديد المواطن السلبية التي تعاني منها الحروف اللثوية في لهجة تمنغست . وقد تبين لنا أن هذه الظاهرة الصوتية لا تخرج عن نطاق القانون اللساني - الإجتماعي ألا وهو التداخل الصوتي بين اللغات الفصحى أو الأدبية واللهجات المتداولة فيها، وهو الأمر الذي تعيشه لغات العالم عموما واللغة العربية خصوصا ؛ نظرا لتعدد لهجاتها في مختلف أقطار البلاد العربية كاملة.

و إن كان لابد من تحديد ما استكشفته هذه الدراسة فليس أكثر من أن نوجزه في بعض النتائج والتوصيات التي أسفر عنها البحث وهي كالتالي:

فتح البحث أمامنا أبواب جد واسعة و كثيرة كنا على جهل تام بها ، وأبواب أخرى كنا ولازلنا نتعامل بها في حياتنا اليومية أو نشاهدها ونسمع بها وعنهما الكثير من منابر مختلفة لكن لم نُلْقِ لها بالاً أو نراعيها اهتمامنا ، إضافة إلى جوانب أخرى اخترناها لتكون موضوع بحثنا و أنموذج المعالجة .

و بالتالي فقد اتضح أن لظاهرة التداخل الصوتي صور و أشكال عديدة تلونت بها اللغة العربية لتصنع لنا في الأخير رسما مغايرا فريدا من نوعه ذا أبعاد متباينة كل يستشف منها ما يشاء ويفهمها حسب ما أوتي من بعد النظر و ما أتيح له من فرص ، أو ما امتلك من وسائل سخرها له المحيط الذي يعيش فيه. والموضوع على هذه الصفة أثار جملة من النقاط كنا قد أشرنا إليها مسبقا في صلب البحث ، كما دعانا العنوان إلى الوقوف على أبواب أخرى تطل عليه و تصب في قلبه نظرا أنها بدورها تتعلق بتلك الأوجه الكثيرة التي طرحتها اللغة العربية الفصحى منذ ظهورها على مر الزمن . على نحو التغيرات الصوتية ، التبدلات الصوتية ، التحولات الصوتية و التداخلات الصوتية...

وعليه لم يقتصر بحثنا كما وسم على الإشارة إلى التداخلات الصوتية بين اللغة العربية الفصحى واللهجة العامية فحسب لأمر عدة ، ذلك أن هذا التداخل في حد ذاته يعني الخروج عن الطبيعة المألوفة لأصوات اللغة العربية والصورة التي عهدت بها بفعل تلك التطورات التي تبدلت من زمن لآخر وتحولات تظهر وتختلف بين الفينة والأخرى من منطقة إلى غيرها ، نتيجة لعدة عوامل ودوافع اختلفت باختلاف مسار أنظمة هذه الحياة ، فتمازجت بتمازج الأنماط التي تقوم عليها والتي شكلت أسسها القويمة المترابطة بين جوانب عدة الإجتماعية منها التي تحتويها . كما أنها انعكاس لصورة المجتمع والطريقة التي بنى أسسه عليها وينتمي إليه بعدما استخلص من تراكمات الزمن نمطا محددا يسير عليه الأفراد جيلا بعد جيل.

زد على ذلك الجانب الديني القائم على العقيدة المتبعة والمنهج المختار الذي يبني شخصية الأمة بكل ما تحتويه من مكونات أصبحت هي هوية الأمة ، ولأن اللغة ركن من هذه الهوية فهي بهذا تعد العمود الفقري التي تعرف بأصولها وجذورها وتقدم صورتها الحقيقية لغيرها من الأمم .

أما الجانب الثقافي فهو أهم ركن تتشكّل منه هوية الأمة باعتباره المرأة التي تطلعنا على تاريخ الحضارة و تجسد تراثها وهو أيضا الوعاء الذي يحمل ويحمي في آن واحد تقاليدها وعاداتها ، دون أن ننسى الناحية الجغرافية التي لها دورها البارز في التطور الحاصل للغة العربية الفصحى بشكل يكاد يطغى على الأسباب الأخرى .

إذاً فالمجتمع مؤثر بالدرجة الأولى قبل أن يُؤثر في ما يجاوره من مناطق وقبائل مختلفة دون التغاضي عن الطبيعة الجغرافية المكونة لها والموقع الجغرافي الذي يقع فيه كل هذا و ذاك أثر بالضرورة على صورة اللغة من زمن إلى آخر باستمرار حسب المعطيات المتاحة لذلك... وللجانب التاريخي نصيب هام كذلك في هذا التطور أو التداخل فهو الذي يحدد مسار الأمة المنعكس بشكل مباشر على اللغة وبه يستقصي الدارس والباحث أسباب تطورها ومظاهره ونتائجه مما عرجنا عليه في صنع مسار التداخل الصوتي في اللغات عموما إلى جانب العربية الفصيحة .

إذن نحن طوال بحثنا سرنا على ثلاثة محاور كبرى انبثقت عن طبيعة تركيب عنوانه والتي رأيناها كفيلة بالإلمام بجوانب الظاهرة المقصودة ، حيث أهلّتنا إلى إمطة اللثام عن حقيقة العديد من مظاهر و أوجه هذا التداخل بداية من محيطنا الصغير الذي نعيش فيه مروراً بالتراب الوطني الكبير وصولاً إلى البلاد العربية الكبرى التي حملت في طياتها مع تمازج لهجاتها المختلفة والمتنوعة الكثير والكثير من أسرار لغة غدت منذ أمد بعيد لغة العلم والحضارة ، كيف لا وهي من اختارها المولى عز وجل لتكون لغة كتابه المعظم ولغة الإسلام والدين العظيم ، إلى أن جاء وقت احتاجت فيه إلى ما يصون مفرداتها و يحفظها من الزوال و يحميها من التخلف عن الركب والإندثار كما حدث للغات كثيرة من خلال تأسيس علم النحو الذي أقام دعائمها وأرسى مبادئها ليجعلها مرجعا للناطقين بها.

لم تتوقف حاجة العربية الفصيحة إلى هذا العلم عند هذا الحد فقط بل أن الأمر أوسع بكثير من ذلك حينما شهدت أصواتها وحروفها تغيراً جذرياً أخرج اللغة عن طبيعتها فاحتاجت إلى جانب علم النحو علم الصوت الذي جاء ليبين طبيعتها ويصف خصائصها بمنظار مضبوط ومحدد وقوانين تتحكم في تطورها وتغيرها بعد الانعكاسات التي خلفتها على جوانب شتى من جوانب اللغة منها المستوى النحوي خصوصاً عمود اللغة ولسان حالها الناطق الذي يعي أغوارها ويعرف مواطن أسرارها.

أما فيما يتعلق بالجانب التطبيقي الممثل بالدراسة الميدانية فقد بنيت على جزأين - إن جاز لنا القول - حيث عمدنا فيها إلى استقصاء ظاهرة التحول الصوتي الذي أصاب الحروف اللثوية الثلاثة الثاء، الذال و الظاء فصبغت بأشكال مختلفة من النطق كل كيف ينطقها وكيف استبدلها بغيرها ، مانحا إياها صفات فطر عليها وكون لغته بها من خلال التواصل اليومي بها . ما جعله يحول تلك العادة النطقية و الصوتية إلى اللغة العربية الفصحى ويطبقها على حروفها منها الحروف المشار إليها على وجه الخصوص .

وقد أوصلتنا الدراسة إلى اكتشاف أمور كثيرة سواء في المجتمع الذي نعيش فيه من خلال العينات التي اخترناها لتكون أنموذج البحث ، أو في اللغة العربية الفصحى التي كشفت لنا عن وجه آخر تماما كنا نجهله من خلال التغيرات الصوتية المختلفة التي مستها.

كما توصلنا إلى معرفة أن هذه التطورات الصوتية أو التداخل الصوتي ليس وليد الساعة بل هي امتداد لتراكمات صوتية قديمة جدا يضرب جذوره في أعماق تاريخ اللغة العربية من خلال ما أثبتته الشواهد اللغوية . والذي طمأننا من هذه الدراسة ما التمسناه عند المعلمين أو حتى الناطقين بتلك التداخلات الصوتية إنهم يكتبون الكلمات التي تحتوي على هذه الأصوات كتابة صحيحة عند معظمهم ، وأن المشكل عندهم يكمن في كيفية النطق التي اعتادوا عليها أو عودوا أنفسهم عليها. حتى من خلال قراءتهم للقرآن الكريم .

إذن فالمشكلة تشمل الكبير والصغير ، الإمام والأستاذ ، المثقف و غير المثقف ، كلهم لم يسلم من قبضة هذه الظاهرة . لأسباب غالبا ما تخرج عن سيطرتهم فيقعون فيها رغما عنهم أو دون وعي منهم ، حتى أصبحوا لا يستطيعون تجاوزها باعتبارها أضحت جزءا من حياتهم اللغوية - الصوتية ، وللقضاء على هذه المشكلات ولو بقدر ضئيل إن لم نقل كليا حاولنا أن نسهم بجملة من الحلول و الإقتراحات التي صممها علماء اللغة الغيورون عليها أملين أن تجد لها آذانا صاغية ونفوسا واعية تضيء أملا جديدا للغة العربية من طرف أبناءها المخلصين لها الذين يحاولون دائما النهوض بها لأجل بقاءها ويرفضون التواكل على غيرهم واقفين على قدم وساق لتحقيق المرام .

فائمة المصادر والمراجع

- القرآن الكريم - برواية حفص عن عاصم.

أ - المصادر:

1 - الجاحظ - البيان والتبيين - تحقيق عبد السلام هارون - مكتبة الخانجي - القاهرة - ط 4 - ج 4 - 1998م.

2 - ابن الجزري - النشر في القراءات العشر - تحقيق علي محمد الضباع - دار الفكر لبنان - دط - ج 2 - دت.

3 - ابن جني :-

- الخصائص - تحقيق محمد علي النجار - دار الكتب المصرية - مصر - دط - ج 1 و 2 - دت.

- سر صناعة الإعراب - تحقيق حسن هنداوي - المكتبة الوقفية - دط - دت.

- المحتسب في تبين وجوه شواذ القراءات و الإفصاح عنها - تحقيق علي النجدي و آخرون - المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية - مصر - دط - ج 1 - 1386هـ.

4 - ابن خلدون - المقدمة - مراجعة سهيل زكار - دار الفكر للطباعة والنشر - لبنان - دط - 2001م.

5 - السيرافي أبو سعيد - ما ذكره الكوفيون من الإدغام - تحقيق صبيح التميمي - دار البيان العربي - جدة - ط 1 - 1985م.

6 - سيبويه - كتاب سيبويه - تحقيق وشرح عبد السلام هارون - مكتبة الخانجي بالقاهرة - و دار الرفاعي بالرياض - ط 1 - ج 4 - 1982م.

7 - السيوطي :-

- الإقتراح في علم أصول النحو - تحقيق وتعليق أحمد حميد قاسم - القاهرة - ط 1 - 1976م.

- المزهر في علوم اللغة وأنواعها - تحقيق محمد جاد المولى و آخرون - منشورات المكتبة
العصرية - د ط - ج 1 - د ت .

8 - العسقلاني أحمد بن حجر - فتح الباري شرح صحيح البخاري - مراجعة قصي محب
الدين الخطيب - دار الريان للطباعة والنشر والتوزيع - لبنان - د ط - د ت.

9 - القالي أبو علي - الأمالي - دار الكتب العلمية - بيروت - د ط - ج 1 - د ت.

ب - المراجع :

1 - أنيس إبراهيم :

- الأصوات اللغوية - مطبعة نهضة - مصر - د ط - د ت.

- في اللهجات العربية - مكتبة الأنجلو المصرية - مطبعة وهبة حسان - القاهرة - ط 3 -
2003م.

2 - الأعبدي رشيد عبد الرحمان - معجم الصوتيات - مكتبة الدكتور مروان العطية -
العراق - ط 1 - 2007م.

3 - بشر كمال :

- علم الأصوات - دار غريب للطباعة والنشر والتوزيع - القاهرة - د ط - 2000م.

- علم اللغة العام - دار المعارف - مصر - د ط - 1971م.

4 - البهنساوي حسام - التراث اللغوي وعلم اللغة الحديث - مكتبة الثقافة الدينية - القاهرة - ط
1 - 2004م.

5 - جاد الرب محمود - علم اللغة نشأته وتطوره - دار المعارف - مصر - ط 1 - 1985م.

6 - داوود محمد محمد :

- الدلالة والكلام - (دراسة تأصيلية لألفاظ الكلام في العربية المعاصرة في إطار المناهج الحديثة) - المكتبة العصرية للطباعة والنشر والتوزيع - بيروت - د ط - د ت.
- العربية وعلم اللغة الحديث - دار غريب للطباعة والنشر والتوزيع - القاهرة - د ط - د ت.
- 7 - دراج أحمد عبد العزيز - الإتجاهات المعاصرة في تطور العلوم اللغوية - مكتبة الرشد - الرياض (السعودية) - د ط - 2003م.
- 8 - شاهين عبد الصبور - في علم اللغة العام - مؤسسة الرسالة للطباعة والنشر والتوزيع - بيروت - ط 6 - 1993م.
- 9 - الشايب فوزي حسن - أثر القوانين الصوتية في بناء الكلمة العربية - عالم الكتب الحديث للنشر والتوزيع - الأردن - ط 1 - 2004م.
- 10 - الشنبري حامد بن أحمد - النظام الصوتي للغة العربية - مركز اللغة العربية - جامعة القاهرة - د ط - 2004م.
- 11 - شنوقة السعيد - مدخل إلى المدارس اللسانية - مكتبة الأزهرية للتراث - القاهرة - د ط - 2008م.
- 12 - عبد التواب رمضان - لحن العامة والتطور اللغوي - مكتبة زهراء الشرق - مصر - ط 2 - 2000م.
- 13 - العطية إبراهيم - في البحث الصوتي اللغوي عند العرب - منشورات دار الجاحظ للنشر - بغداد - د ط - 1983م .
- 14 - علام عبد العزيز أحمد وعبد الله محمود ربيع - علم الصوتيات - مكتبة الرشد - السعودية - ط 1 - 2009م.
- 15 - العقاد عباس محمود - عبقرية محمد - المكتبة العصرية للطباعة والنشر والتوزيع - بيروت - د ط - د ت.

- 16 - علي كمال الدين حازم - دراسة في علم الأصوات - مكتبة الآداب - القاهرة - ط 1 - 1999م.
- 17 - علوية نعيم - بحوث لسانية - المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع - بيروت - ط 1 - 1986م.
- 18 - عياط محمد - قضايا معاصرة في الدراسات اللغوية - عالم الكتب - القاهرة - ط 1 - 1998م.
- 19 - ظاظا حسن - اللسان والإنسان (مدخل إلى معرفة اللغة) - دار القلم - دمشق - والدار الشامية - بيروت - ط 2 - 1990م.
- 20 - المبارك أحمد - قضايا اللغة وخصائص العربية - دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع - لبنان - ط 2 - 1964م.
- 21 - مختار أحمد - دراسة الصوت اللغوي - عالم الكتب - القاهرة - د ط - 1997م.
- 22 - المطلبي غالب فاضل - في الأصوات اللغوية (دراسة في أصوات المد العربية) - منشورات وزارة الثقافة والإعلام - العراق - د ط - 1984م.
- 23 - النعيمي حسام سعيد :
- الدراسة اللهجية والصوتية عند ابن جني - دار الرشيد للنشر - العراق - د ط - 1960م.
- أصوات اللغة العربية بين الثبات والتحول - سلسلة بيت الحكمة - بغداد - د ط - د ت .
- 24 - نور الدين عصام - علم الأصوات اللغوية (الفونيتيكا) - دار الفكر اللبناني للطباعة والنشر - بيروت - ط 1 - 1992م.
- 25 - هلال عبد الغفار حامد - اللهجات العربية نشأة وتطورا - مكتبة وهبة - القاهرة - ط 2 - 1993م.

ج - الكتب المترجمة :

- 1 - جاكبسون رومان وموريس هالة - أساسيات اللغة - ترجمة سعيد الغانمي - المركز الثقافي العربي - بيروت - ط 1 - 2008م.
- 2 - دي سوسير فرديناند - علم اللغة العام - ترجمة عبد السلام هارون - مكتبة القاهرة - مصر - د ط - 1998م.
- 3 - فندريس جوزيف - اللغة - تعريب عبد الدواخلي - مكتبة الأنجلو المصرية - مصر - د ط - 1950م.
- 4 - مارتيني أندري - مبادئ في اللسانيات العامة - ترجمة سعيد زبيري - دار الآفاق - د ت.

د - المعاجم :

- 1 - ابن منظور - لسان العرب - دار صادر - بيروت - د ط - 2003م.

هـ - الرسائل الجامعية :

- 1 - صلاح الدين سعيد حسين - التغيرات الصوتية في التركيب اللغوي العربي - بحث معد لنيل درجة الدكتور - جامعة تشرين - كلية الآداب والعلوم الإنسانية - سوريا - 2009م.

و - المجلات والدوريات :

- 1 - مجلة اللسان العربي - عبد العزيز بن عبد الله - تداخل اللغات و أبعاده الإنسانية - الرياض - المجلد الرابع عشر - ج 1 - د ت.
- 2 - مجلة التراث الأدبي - مهين حاجي زاده - دراسة آراء سيوييه الصوتية في ضوء البحث اللغوي - أذربيجان - العدد الخامس - 1388 هـ - 1967م.
- 3 - سلسلة علم المعرفة - نايف خرما - أضواء على الدراسات اللغوية المعاصرة - المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب - الكويت - سبتمبر - 1987م.

فهرست المحتويات

- الفهرست -

مقدمة.....	أ - و
مدخل.....	1 - 15
الفصل الأول / التداخل الصوتي في اللغة العربية - ظاهرة صوتية -	16-32
أولاً : مفهوم ظاهرة التداخل	18-22
ثانياً : مظاهر التداخل الصوتي في اللغة العربية الفصحى.....	23-36
- الإبدال.....	24-25
- الإدغام.....	26-27
- الإمالة.....	28-30
- المخالفة.....	31-32
- القلب المكاني.....	33-34
- المضارعة.....	35-36
ثالثاً : مظاهر التداخل الصوتي في اللهجات العربية.....	37-47
- العنونة.....	38
- الكشكشة.....	38-39
- العجعة.....	38
- التثنية.....	39-42
- الإستتطاء.....	42
- التحول عن الصامت.....	43
- الفحفة.....	43
- مظاهر صوتية أخرى متفرقة.....	44-47

الفصل الثاني / عوامل التداخل الصوتي بين العربية الفصحى واللهجات العربية... 48 - 82

أولاً : أسباب التداخل الصوتي بين اللغة العربية الفصحى واللهجة العامية..... 48 - 63

- أسباب عامة..... 48- 55

- إختلاف أعضاء النطق..... 56

- البيئة الجغرافية..... 57- 58

- الحالة النفسية..... 58

- نظرية السهولة..... 59

- القياس الخاطئ..... 59

- نظرية الشيوخ..... 60

- مجاورة الأصوات..... 61- 62

- أسباب أخرى متفرقة..... 62- 63

ثانياً : قوانين التداخل الصوتي في اللغة العربية..... 64 - 74

ثالثاً : انعكاسات التداخل الصوتي بين الفصحى والعامية على اللغة العربية الفصحى 75-82

الفصل الثالث / دراسة ميدانية لظاهرة التداخل الصوتي بين اللغة العربية الفصحى و اللهجة العامية - منطقة تمنراست أنموذجاً - 83-129

أولاً : وصف مظاهر التداخل الصوتي عند سكان تمنراست - الحروف اللثوية الثلاث أنموذجاً - 83- 97

- وصف حرف الثاء..... 85- 90

- وصف حرف الذال..... 90- 94

- وصف حرف الظاء..... 94- 97

ثانياً : دراسة ميدانية لتقصي ظاهرة التداخل الصوتي عند سكان - تمنراست - 98- 128

- إستبانة موجهة للمعلمين في المدارس..... 98-100

110-101.....	- تحليل الإستبانة الموجهة للمعلمين
113 -111.....	- إستبانة موجهة للمتعلمين
118-114.....	- تحليل الإستبانة الموجهة للمتعلمين
126 -119.....	<u>ثالثا</u> : اكتشاف مواطن و أشكال التداخل الصوتي عند التلاميذ من خلال أخطاء النطق - تقديم نص للقراءة أنموذجا -
129 -127.....	<u>رابعا</u> : حلول واقتراحات مستقبلية
132 -130.....	خاتمة
138 -133.....	قائمة المصادر والمراجع
140 -139.....	الفهرست